دعاء الأنبياء والصالحين
فى القرآن الكريم

فضيلة الشيخ
عطية محمد شعبان

الناشر
دار التقوى
للنشر والتوزيع
ت: ٢٩٨٩٩٤٣

دار
التقوى
للنشر والتوزيع

المدير المسئول - محاسب
عبدالناصر إبراهيم إمام

٨ شارع زكى عبد العاطى
(من شارع عمر بن الخطاب)
عرب جسر السويس - القاهرة
ص.ب : ٦٧١ العتبة كود ١١٥١١
تليفون : ٢٩٨٩٩٤٣

الطبعة الثانية
٢٠٠٥

رقم الإيداع ٢٠٤٣/ ٢٠٠١
ISBN
977-5840-19-8

كمبيوتر
آرمس - ٧٩٦٤٤٠٤

دعاء الأنبياء والصالحين
فى القرآن الكريم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين، وعلى كل من دعا بدعوته، وسار على نهجه إلى يوم الدين.

أما بعد :

فكلما قرأت القرآن الكريم استوقفتنى آيات الدعاء، وشعرت معها بلذة القرب من الله تعالى، وإذا كان المؤمن يناجى ربه بقراءته، فإنه يجد فى آيات الدعاء قمة المناجاة، ففيها التقرب والخشوع، وفيها التضرع والخضوع، وفيها صدق اللجأ(١) والافتقار إلى الله تعالى، وفيها يجد المؤمن راحة نفسه، وطمأنينة قلبه، والزاد الذى يعينه على مواصلة الكفاح، ومواجهة الصعاب وتخطى العقبات.

إن الدعاء تعبير عن حقيقة العلاقة بين الداعى والمدعو، بين العبد والمعبود، بين المخلوق والخالق، بين الإنسان الفقير الضعيف والرب الغنى القوى، صاحب الملك والملكوت.

وآيات الدعاء لا تأتى منفصلة عن سياق السورة التى ترد فيها، أو القصة التى هى جزء منها، وإنما تأتى متسقة مع السياق، وثيقة الصلة بما قبلها وما بعدها من الآيات، لأنها تعبير عن موقف أو هى جزء من موقف اقتضى هذا التوجه إلى الله، ومن هنا ذكَّرتُ على موقع الدعاء ليتبين للمسلم موقف الداعى حين يتوجه إلى الله يناجيه ويجأر إليه، ويستعين به على مواقف الحياة، ويستصرخه ويستنصر به على أعداء الحياة.

ولقد رأيت أن تكون لغة الكتاب سهلة مبسطة ليعم نفعه، وليجد فيه القارىء العادى غايته.

---

(١) لجأ يلجأ بفتحتين، راجع مختار الصحاح.

والكتاب فى فصلين:

الأول: تحدثت فيه عن حقيقة الدعاء وأساليبه، وعن الأمور التى ينبغى للداعى أن يعيها حتى تكون لدعوته ثمرتها، وعن الآداب التى ينبغى له أن يتحلى بها.

وأما الفصل الثانى: فيعرض الدعاء ومواقعه وآدابه فى القرآن الكريم، وقد اتبعت فى العرض منهجا لا أحيد عنه، ويتلخص فيما يلى :

١ ـ رتبت الأدعية بترتيب ورودها فى القرآن الكريم حتى يسهل على القارئ الرجوع إليها فى المصحف الشريف إن أراد.

٢ ـ عرضت الدعاء مجردا عما قبله وما بعده من آيات وكلمات، حتى يسهل على القارئ حفظه، مع ذكر السورة التى ورد فيها وأرقام الآيات.

٣ ـ قد تدعو الحاجة لفهم الدعاء إلى توضيح موقف أو شرح كلمة أو ذكر مناسبة، فأشير إلى ذلك، ثم أشرح الدعاء على لسان الداعى، متمثلا إياه تحت عنوان: معنى الدعاء.

٤ ـ بعد ذلك ركزت على موقع الدعاء بشىء من البسط شارحا مناسبة الدعاء وعلاقته بما قبله وما بعده، حتى يدرك القارئ ملابسات الدعاء، وحتى ينفعل بالموقف الذى قيل فيه.

٥ ـ ثم أشرت إلى ما صاحب الدعاء من آداب، وذكرت أقوال العلماء فى هذا الشأن، وأخيراً أثبت ما وصلت إليه يدى من أحاديث وأقوال وردت فى فضل الدعاء.

٦ ـ قد تتكرر القصة فى القرآن الكريم، فيتكرر معها الدعاء، ولكن بأسلوب مختلف متناسق مع السياق.

ـ كدعاء زكريا ـ عليه السلام ـ:

﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾[١].

ـ ودعائه: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ④ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ⑤ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾[٢].

ـ ودعائه: ﴿رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾[٣] فآثرت أن أعرض كل دعاء في موقعه، وفي سياقه، وقد أشير إلى الدعاء السابق دون إخلال بمنهج الكتاب.

إن الغاية التي قصدت إليها من وراء تأليف هذا الكتاب أن أضع القارئ أمام آيات الدعاء، ينفعل بها، ويتمثل مواقعها، ويلم بآدابها، حتى يفزع إليها كلما ألمت به حادثة، أو أحدقت به كارثة، أو نزلت به ضائقة، أو أحاطت به فتنة، أو تعرض لابتلاء.

ويحضرني في هذا المقام قول الإمام جعفر الصادق ﷺ:

ـ عجبت لمن يدركه الخوف، ولا يفزع إلى قول الحق تبارك وتعالى: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ لأنني سمعت الله في عقبها يقول: ﴿فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾[٤].

ـ وعجبت لمن اغتم، ولم يفزع إلى قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ⑧⑦﴾، فإني سمعت الله في عقبها يقول: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾[٥].

---

(١) آل عمران الآية : ٣٨ .
(٢) مريم الآية : ٤ ـ ٦ .
(٣) الأنبياء الآية : ٨٩ .
(٤) آل عمران الآية : ١٧٤ .
(٥) الأنبياء الآية : ٨٨ .

ـ وعجبت لمن مكر به، ولم يفزع إلى قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٤﴾﴾، فإنى سمعت الله فى عقبها يقول: ﴿ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا﴾(١).

والله من وراء القصد، وهو الهادى إلى سواء السبيل

المؤلف

عطية محمد شعبان

(١) غافر الآية : ٤٤ .

مواقع الدعاء فى القرآن

مواقع الدعاء فى القرآن كمواقع النجوم فى السماء، وإذا كان الله تعالى قد أقسم بمواقع النجوم لعظم دلالتها على قدرته فى خلقها وتسخيرها لإرشاد السائرين، وهداية الحائرين فى ظلمة الليل البهيم، فإن مواقع الدعاء فى القرآن الكريم تنير الطريق للداعين، وتهديهم إلى أقوم سبيل لمناجاة ربهم، والتقرب إليه والاعتصام به، وطلب العون منه.

والقرآن الكريم يعرض علينا أدعية أنبياء الله ورسله، والمؤمنين من أتباعهم على امتداد تاريخهم الطويل، ومن خلال مواقفهم فى موكب الدعوة الموصول، لنقتدى بهداهم، ولنتمثل مواقفهم، فنتبين متى وكيف ندعو الله، وبماذا ندعوه.

ولما كان الإنسان هو الإنسان منذ بدء الخليقة، وصلته بربه هى صلته بربه التى رسمها له خالقه على لسان أنبيائه ورسله من لدن آدم ـ عليه السلام ـ وحتى خاتمهم محمد ﷺ فستظل نماذج أدعية الأنبياء التى ساقها القرآن الكريم، ومواقعها فى قصصهم، وما صاحبهم من أحوال وآداب، ستظل نبراساً يستضىء به المسلم حين يتوجه إلى ربه يدعوه ويناجيه.

أصل الدعاء ومنزلته

والدعـاء فى الأصل هو السؤال والتضرع إلى الله فى الحوائج الدنيوية والأخروية، الجليلة والحقيرة، فقد ورد فى الحديث الشريف: «ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها»[1].

والدعاء من أجَلِّ العبادات وأعظم القربات إلى الله تعالى بل هو العبادة. قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[2]، وروى النعمان بن بشير عن النبى ﷺ أنه قال: «إن الدعاء هو العبادة» ثم قرأ: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[3] وقال: «ليس شىء أكرم على الله عز وجل من الدعاء»[4].

وقد أمرنا الله فى كثير من الآيات أن ندعوه ونتضرع إليه، قال تعالى:

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[5].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[6]. وقال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾[7].

★★★★

(١) راجع إحياء علوم الدين للإمام الغزالي.
(٢) غافر الآية: ٦٠ .
(٣) قال الترمذي: حديث صحيح.
(٤) قال الترمذي: صحيح الإسناد.
(٥) الأعراف الآية: ٥٥ .
(٦) البقرة الآية: ١٨٦ .
(٧) الإسراء الآية: ١١٠ .

صور الدعاء

وإذا كان الدعاء طلبا فهو لا يقتصر على صيغة الأمر أو النهى كما فى قول الله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾(١) ولكن قد يكون الطلب بصيغة النائب عن فعل الأمر، كقوله تعالى: ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا ﴾(٢) أى اغفر لناياربنا، وقد يكون بأسلوب الاستفهام، كقوله تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا ﴾(٣) أى: لا تهلكنا، وقد يكون الدعاء بأسلوب خبرى، كمن يعرض حاله على ربه راجيًا سؤاله، كقوله تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾(٤)، فكأنه يقول: رب إننى فقير ومحتاج دائما إلى الخير الذى تنزله علىَّ، فلا تقطعه عنى.

وقد يكون الدعاء نداء يجأر به الداعى إلى ربه، أو مناجاة يبث فيها إلى الله شكواه كقول الله تعالى فى شأن أيوب عليه السلام: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾(٥)، ومن هنا قال تعالى عقب نداء أيوب: ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ ﴾، ومثله ما جاء فى سورة أخرى: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾(٦) فاستجاب الله نداءه حيث قال: ﴿ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ ﴾.

---

(١) البقرة الآية: ٢٨٦ .
(٢) البقرة الآية: ٢٨٥ .
(٣) الأعراف الآية: ١٥٥ .
(٤) القصص الآية: ٢٤ .
(٥) الأنبياء الآية: ٨٣ .
(٦) ص الآية: ٤١ .

وكقـولـه تعالى فى شـأن يونس عليـه السلام حيث نـادى وهو فى بطن الحوت: ﴿لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[1] فقال تعالى فى إثر هذا الدعاء: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾، وهنا نجد الدعـاء مناجاة لله بتوحـيده وتسبـيحه سبحانه وتعـالى، مع الإنابة والاعتـراف بالذنب، ولذلك قال تعـالى فى موضع آخـر: ﴿فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[2].

وكقوله تعـالى فى شأن محمـد ﷺ والمؤمنين من أتباعه حين خـوفهم الناس من جمـوع أعدائهم: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾[3] وقد روى البخارى أن دعـاء إبراهيم ـ عليه السلام ـ حين ألقى فى النار: ﴿حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾[4].

****

(١) الأنبياء الآية: ٨٧ .

(٢) الصافات الآية: ١٤٤ .

(٣) آل عمران الآية: ١٧٣ .

(٤) راجع تفسير ابن كثير (سورة الأنبياء).

الاستغفار والاستعاذة

وإذا كان الدعاء طلبا فإن من الدعاء الاستغفار وهو طلب الغفران، والاستعاذة وهى طلب العياذ بالله والاعتصام به، والاستسقاء وهو طلب السقيا ونزول المطر عند الحاجة، والاستخارة وهى طلب الخيرة من الله.

فقولك: أستغفر الله أى أطلب المغفرة من الله وقولك: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، أى أطلب الاعتصام بالله من الشيطان الرجيم، وقولك:

اللهم إنا نستسقيك فاسقنا أى نطلب منك السقى فاسقنا، وقولك: اللهم إنى أستخيرك أى أطلب منك أن تختار لى.

وهذه كلها أفضل الدعاء لأنها اختيار الله للعبد، فالله أمرنا أن نستغفره وأن نستعيذ به، وشرع لنا صلاة الاستسقاء وصلاة الاستخارة، الأولى عند حصول الجدب وانقطاع المطر، والثانية عندما يريد المرء من الأمور المباحة ويلتبس عليه وجه الخير فيه.

ومما يدل على عظم شأن الاستغفار أن مادة (غفر) و(استغفر) وردت فى القرآن الكريم فى مائتين وأربعة وثلاثين موضعا[١]، منها أمر من الله لنبيه محمد ﷺ أن يستغفر الله له وللمؤمنين والمؤمنات فى سبعة مواضع[٢]، كما أمر المؤمنين من أتباعه ﷺ أن يستغفروه فى ثلاثة مواضع[٣]، وفى سورة فصلت أمر الله نبيه محمدا ﷺ أن يوجه أمته إلى الاستقامة والاستغفار فى قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ﴾[٤].

(١، ٢، ٣) راجع المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم محمد فؤاد عبد الباقي.
(٤) فصلت الآية: ٦ .

وإذا استعرضنا قصص الأنبياء فى القرآن الكريم نجد أن كل رسول دعا قومه إلى الاستغفار، فقد جاء على لسان نوح عليه السلام: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾(1)، وجاء على لسان هود عليه السلام: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾(2)، وجاء على لسان شعيب عليه السلام: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾(3) وجاء على لسان صالح عليه السلام: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾(4).

وقد بيّن القرآن الكريم أن الاستغفار مجلبة للرزق وللمتاع الحسن فى الدنيا، ولثواب الله الجزيل فى الآخرة، قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (10) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (11) وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾(5) وقال تعالى: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾(6).

وأما الاستعاذة فقد أمرنا الله بها فى أكثر من موضع فى القرآن الكريم، ويبين لنا متى نستعيذ؟ ومم نستعيذ؟، قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(7)، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾(8).

ولقد ختم المصحف الشريف بالمعوذتين، وهما سورتا (الفلق) و (الناس)، وفيهما أمر من الله تعالى أن نستعيذ برب الفلق من شر ما خلق، ونستعيذ برب الناس

(1) نوح الآية: 10 .
(2) هود الآية: 52 .
(3) هود الآية: 90 .
(4) هود الآية: 61 .
(5) نوح الآيات: 10، 11، 12 .
(6) هود الآية: 3 .
(7) الأعراف الآية: 200 .
(8) النحل الآية: 98 .

من شر الوسواس الخناس، وسيأتى الحديث عنهما بمشيئة الله فى موضعه من الكتاب.

والرسول ﷺ يعلمنا كيف نتغلب على وساوس الشيطان بالاستعاذة، فيقول: «يأتى الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله، ولينته»(١).

وروى مسلم فى صحيحه عن أنس رضي الله عنه قال: كان النبى ﷺ يدعو بهؤلاء الدعوات: «اللهم إنى أعوذ بك من البخل والكسل، وأرذل العمر، وعذاب القبر، وفتنة المحيا والممات». وروى عن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ كان يتعوذ من سوء القضاء، ومن درك الشقاء(٢) ومن شماتة الأعداء، ومن جهد البلاء(٣).

وروى عن خولة بنت حكيم السلمية أنها سمعت رسول ﷺ يقول: «**إذا نزل أحدكم منزلا فليقل: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، فإنه لا يضره شىء حتى يرتحل منه**»(٤).

****

---

(١) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان جمع محمد فؤاد عبد الباقي. ط وزارة الأوقاف بالكويت رقم ٨٢ ص ٢٦ . وقوله (ولينته) يعني وليكف عن التفكير فيما استدرجه الشيطان إليه مما يبدد طاقة العقل ولا يجد له جوابا.

(٢) المعنى: أعوذ بك أن يدركني شقاء.

(٣) جهد البلاء تعني قلة المال وكثرة العيال. انظر شرح النووي على مسلم باب الدعوات والتعوذ.

(٤) صحيح مسلم.

ما يجب أن يكون عليه الداعى

وهناك أمور ينبغى للداعى أن يعيها، ويعمل بها حتى تؤتى دعوته ثمرتها:

وأول هذه الأمور أن يعلم أن الدعاء رجاء وليس تمنيا، وفرق بين الرجاء والتمنى، فالرجاء يكون مع بذل الجهد واستفراغ الطاقة فى الإتيان بأسباب الظفر والفوز. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾[1] وعلامة الرجاء الصحيح أن الراجى يخاف فوت الجنة، وذهاب حظه منها بترك ما يخاف أن يحول بينه وبين دخولها، ومن هنا صار كل خائف راجيا، وكل راج خائفا، فكل راج خائف من فوات ما يرجوه، وكل خائف راج أمنه مما يخاف، فلذلك تداول الاسمان عليه. قال تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾[2] قالوا فى تفسيرها لا تخافون لله عظمة.

أما التمنى فهو حديث النفس بحصول ما تتمنى مع تعطيل الأسباب الموصلة إليه، والأمانى رءوس أموال المفاليس، أخرجوها فى قالب الرجاء، وتلك أمانيهم، وهذه تصدر من قلب تزاحمت عليه وساوس النفس فأظلم من دخانها، فهو يستعمل قلبه فى شهواتها، وكلما فعل ذلك مَنَّتْهُ حسن العاقبة والنجاة، وأحالته على العفو والمغفرة وهذا ما عناه الشاعر بقوله:

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تمشى على اليبس

وقد يسميها بعضهم حسن الظن بالله، وكذبوا، لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل، قال تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ

---

(١) البقرة الآية: ٢١٨ .

(٢) نوح الآية: ١٣ .

وَلا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا ﴾[1].

الثـانى: علم الداعى أن أساس كل خير فى إيمـانه بأن ما شاء الله كان، وما لم يشـأ لم يكن، فيتيـقن أن الحـسنات من نعم الله فيـشكره عليـها ويتـضرع إليـه أن لا يقطعها عنه، وأن السيـئات من خذلان الله وعقوبته فيبتـهل إليه أن يحول بينه وبينها، ولا يكله فى فعل الحسنات وترك السيئات إلى نفسه.

وقـد أجمع العـارفـون على أن كل خـير إنما هو بتـوفـيق الله للعـبد، وكل شـر بخـذلان الله لعـبـده، وأجمـعـوا على أن التـوفـيق أن لا يكلك الله إلى نفـسك، وأن الخذلان هو أن يخلى بينك وبينها.

فإذا كـان كل خيـر أصله التـوفيق وهو بيـد الله لا بيد العـبد، فـمفـتاحه الـدعاء والافتقار وصدق اللجأ والرغبة والرهبة إلى الله.

فمتى أعطـى الله العبد هذا المفتاح فـقد أراد أن يفتح له، ومتى أضلـه عن المفتاح بقى باب الخير مرتجا[2] دونه، ولذا قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ إنى لا أحمل هم الإجابة، ولكن هم الدعاء، فإذا ألهـمت الدعاء فإن الإجابة معه[3] وعلـى قدر نية العبد وهمته، ومراده ورغبته فى ذلك، يكـون توفيقه سبحانه وإعانته، فالمعونة من الله تنزل على العبـاد على قدر هممـهم، وثباتهم، ورهبتـهم، والخذلان ينزل على حسب ذلك، فالله سبحانه أحكم الحاكمين، وأعلم العالمين يضع التوفيق فى مواضعه اللائقـة به، والخذلان فى مـواضعـه اللائقة به، وهـو العليم الحكيم، وما أصـيب من أصى إلا من قبل إضاعة الشكر وإهمال الافتقار والدعاء، ولا ظفر من ظفر بتأييد الله وعونه إلا بقيامه بالشكر وصدق الافتقار والدعاء[4].

وخير شـاهد على ذلك ما جاء فى القرآن الكريم فى شـأن يوسف عليه السلام:

---

(١) النساء الآية: ١٢٣ .   (٢) مغلقا.

(٣) راجع الفوائد لابن القيم ص ٩١ .

(٤) راجع كتاب الروح لابن القيم ص ٢٤٥ مكتبة المتنبي القاهرة (بتصرف).

﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾[١].

فالآية تكشف عن صدق نية يوسف، وعظم همته، وعزمه على مقاومة أي إغراء مهما عظم ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾.

الثالث: أن العاقل العارف هو الذى يبث شكواه إلى الله وحده، ولا يشكو إلى الناس دهرا، أو فقرا، وأن الجاهل هو الذى يشكو الله إلى الناس، وهذا غاية الجهل بالمشكو والمشكو إليه، فإنه لو عرف ربه لما شكاه، ولو عرف الناس لما شكا إليهم، ورأى بعض السلف رجلاً يشكو إلى رجل فاقته[٢]، وضرورته فقال: ياهذا ما زدت على أن شكوت من يرحمك إلى من لا يرحمك، وفى ذلك قيل:

وإذا شكوت إلى ابن آدم إنما   تشكو الرحيم إلى الذى لا يرحم

وإذا كان العارف إنما يشكو إلى الله وحده، فإن أعرف العارفين من جعل شكواه إلى الله من نفسه لا من الناس، فهو يشكو من موجبات تسليط الناس عليه لأنه ناظر إلى قوله: ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾[٣] وقوله: ﴿أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ﴾[٤].

فالمراتب ـ كما يقول ابن القيم ـ ثلاثة: أخسها أن تشكو الله إلى خلقه وأعلاها أن تشكو نفسك إليه، وأوسطها أن تشكو خلقه إليه.

الرابع: أن الداعى لا يقترح على ربه، ولا يختار عليه، ولا يسأله ما ليس له به

(١) يوسف الآية: ٣٣ .
(٢) فاقته: فقره.
(٣) النساء الآية: ٧٩ .
(٤) آل عمران الآية: ١٦٥ .

علم، فلعل مضرته وهلاكه فيما يختاره وهو لا يعلم، قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾[1]. فلا يختار العبد على ربه شيئا، بل يسأله حسن الاختيار له، وأن يرضيه بما يختاره.

فليس أنفع للعبد من الرضا بما يختاره الله له، والإيمان بأن الخير فيما يختاره الله، وأن «ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك»[2].

إن العبد إذا فوَّض أمره إلى ربه، ومضى بما يختاره أمده فيما يختاره له بالقوة عليه والعزيمة والصبر، وصرف عنه الآفات التى هى عرضة اختيار العبد لنفسه، وأراه من حسن عواقب اختياره له ما لم يكن ليصل إلى بعضه بما يختار هو لنفسه. وإن العبد إذا أتعب نفسه فى أنواع الاختيارات، وشغل قلبه بشتى التقديرات والتدبيرات فإن ذلك لن يخرجه عما قدر الله عليه، فلو رضى باختيار الله وقدره كان محموداً مشكورا ملطوفا به فيما قدر له، وإلا جرى عليه القدر وهو مذموم غير ملطوف به فيما قدر عليه، لأنه مع اختياره لنفسه، ومتى صح تفويضه ورضاه اكتنفه فى المقدر عطف الله عليه ولطفه به، فيصير بين عطف الله ولطفه، فعطف الله يقيه ما يحذره، ولطفه يهون عليه ما قدره.

إن يونس ـ عليه السلام ـ وهو فى بطن الحوت سبّح ربه واعترف بذنبه، ولم يقترح على الله شيئا، ولكنه فوض أمره إلى الله يفعل ما يشاء، فكان ما كان من لطف الله به، وإنجائه من بطن الحوت، وشموله بعطفه ورحمته.

وكما يكون التفويض فى الاختيار يكون التفويض فى الإجابة، والذى ينبغى للداعى أن يدعو الله تعالى، ويفوض له الأمر فى الإجابة، ولذا ورد فى الحديث

---

(١) البقرة الآية: ٢١٦ .

(٢) أخرجه الترمذي.

الشـريف: «ما من رجل يدعـو الله تعالى بدعـاء إلا استـجيب له، فـإما يعـجل له فى الدنيا، وإمـا أن يؤخر له فى الآخرة، وإما أن يكفـر عنه ذنوبه بقدر ما دعـا ما لم يدع بإثم، أو قطيـعة رحم، أو يسـتعـجل، قـالوا: يارسول الله، وكـيف يسـتـعجل؟ قـال: «يقول: دعـوت فما استـجاب لى»(١) وروى مـسلم أيضـاً عن أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ أنه قال: «لا يـزال يستجـاب للعبد مـا لم يدع بإثم أو قطيعـة رحـم ما لم يستعجل»، قيل يارسول الله: ما الاستعجال؟ قال: «يقول قد دعوت، وقد دعوت فلم أر يستجيب لى فيستحسر عند ذلك، ويدع الدعاء»(٢).

****

(١) أخرجه الترمذي.

(٢) يستحسر المراد ينقطع عن الدعاء ويتركه، ففي الحديث أنه ينبغي إدامة الدعاء ولا يستبطيء الإجابة.

آداب الدعاء

كما أن للصلاة آداباً يتعلق بها الفلاح والقبول، من خشوع فيها، ومحافظة عليها، حيث قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢﴾ ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩﴾ فللدعاء كذلك آداب إذا أدركها الداعى وتحلّى بها كان ذلك أرجى لقبول الدعاء.

وأعظم هذه الآداب أن يقدم بين يدى دعائه حمد الله والثناء عليه وتمجيده، وذكر عبوديته لله وتوحيده، وأن يتوسل إليه بأسمائه وصفاته، كما سنرى فى دعاء الفاتحة وفى غيره من أدعية القرآن الكريم.

وكانت أدعية الرسول ﷺ مثلاً أعلى فى أدب الدعاء، فلقد روى البخارى فى صحيحه من حديث ابن عباس أن النبى ﷺ كان إذا قام يصلى من الليل يدعو بقوله: «اللهم لك الحمد، أنت نور السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد، أنت قيوم السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد، أنت الحق، ووعدك الحق، ولقاؤك حق، اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لى ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت إلهى لا إله إلا أنت» فذكر التوسل إليه بحمده والثناء عليه، وبعبوديته له، ثم سأله المغفرة.

وفى المسند وصحيح أبى حاتم من حديث عبد الله بن مسعود، قال رسول الله ﷺ: «ما أصاب عبداً هم ولا حزن فقال: اللهم إنى عبدك. ابن عبدك. ابن أمتك، ناصيتى بيدك، ماض فىَّ حكمك، عدل فىَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته فى كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به فى

علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن الكريم ربيع قلبى، ونور صدرى، وجلاء حزنى، وذهاب همّى وغمّى إلا أذهب الله همه وغمه، وأبدله مكانه فرحا» قالوا: يارسول الله، أفلا نتعلمهن؟ قال: «بلى، ينبغى لمن سمعهن أن يتعلمهن».

انظر كيف صدَّر ﷺ سؤاله بقول: «إنى عبدك. ابن عبدك. ابن أمتك» وهو اعتراف بأنه وأباه وأمه عبيد الله، وأن العبد ليس له غير باب سيده وفضله وإحسانه، وأن سيده إن أهمله وتخلى عنه هلك، ثم يقول: «ناصيتى بيدك» أى أن الله هو المتصرف فيه كيف يشاء، ناصيته بيده، وقلبه بين أصبعين من أصابعه، وموته وحياته، وسعادته وشقاوته، وعافيته وبلاؤه كله إليه سبحانه، ثم هو راض بحكم الله مطمئن إلى عدله، فيقول: «ماض فىَّ حكمك، عدل فىَّ قضاؤك» ثم يتوسل إليه بأسمائه كلها ما علم منها وما لم يعلم. وهكذا يعلمنا الرسول ﷺ أدب الدعاء فى هذا الحديث العظيم، وفى غيره من الأحاديث[1].

ولن أستطرد فى الحديث عن آداب الدعاء حيث إن الكتاب سيعرض فى ثناياه ما صاحب كل دعاء من آداب، ولكننى سأكتفى فى هذا المقام بتلخيص ما جاء فى إحياء علوم الدين فى باب آداب الدعاء، وقد عدَّها الإمام الغزالى ـ رحمه الله ـ عشرة آداب:

الأول: أن يترصد لدعائه الأوقات الشريفة كيوم عرفة من السنة، ورمضان من الأشهر ويوم الجمعة من الأسبوع، ووقت السحر من ساعات الليل، قال تعالى: **﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾** وقال رسول الله ﷺ : «**ينزل الله تعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير، فيقول عز وجل: من يدعونى فأستجيب له، من يسألنى فأعطيه، من يستغفرنى فأغفر له**».

الثانى: أن يغتنم الأحوال الشريفة. قال أبو هريرة رضي الله عنه: إن أبواب السماء تفتح

(١) انظر الفوائد لابن القيم .

عند زحف الصفوف فى سبيل الله تعالى، وعند نزول الغيث وعند إقامة الصلوات المكتوبة فاغتنموا الدعاء فيها. قال رسول الله ﷺ : «الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد» وحالة الصيام، لقوله ﷺ : «الصائم لا ترد دعوته»، وحالة السجود أيضاً أجدر بالإجابة. قال أبو هريرة ﷺ: قال النبى ﷺ : «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا فيه من الدعاء».

الثالث: أن يدعو مستقبل القبلة، ويرفع يديه حتى يرى بياض إبطيه، روى جابر ابن عبد الله أن رسول الله ﷺ أتى الموقف بعرفة واستقبل القبلة ولم يزل يدعو حتى غربت الشمس. وروى أنس أنه ﷺ : «كان يرفع يديه حتى يرى بياض إبطيه فى الدعاء، ولا يشير بإصبعه».

الرابع: خفض الصوت بين المخافتة والجهر، قالت عائشة ﷺ فى قوله عز وجل: ﴿**وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا**﴾ أى بدعائك، أثنى الله عز وجل على نبيه زكريا ـ عليه السلام ـ حيث قال: ﴿**إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا**﴾.

وقال تعالى: ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ .

الخامس: أن لا يتكلف السجع فى الدعاء، فإن حال الداعى ينبغى أن يكون حال متضرع، والتكلف لا يناسبه، وقال بعضهم: ادع بلسان الذلة والافتقار لا بلسان الفصاحة والانطلاق، واعلم أن المراد بالسجع هو المتكلف من الكلام، فإن ذلك لا يلائم الضراعة والذلة.

السادس: التضرع والخشوع والرغبة والرهبة. قال تعالى: ﴿**إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا**﴾. وقال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾.

السابع: أن يجزم بالدعاء ويوقن بالإجابة ويصدق رجاءه فيه. قال ﷺ : «لا

يقل أحدكم إذا دعا: اللهم اغفر لى إن شئت، اللهم ارحمنى إن شئت، ليعزم المسألة إنه لا مكره له». وقال ﷺ : «ادعو الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله عز وجل لا يستجيب دعاء من قلب غافل».

الثامن: أن يلح فى الدعاء ويكرره ثلاثا (قال ابن مسعود: كان عليه الصلاة والسلام إذا دعا دعا ثلاثا وإذا سأل سأل ثلاثا، وينبغى أن لا يستبطىء الإجابة لقوله ﷺ : «يستجاب لأحدكم ما لم يعجل فيقول: قد دعوت فلم يستجب لى، فإذا دعوت فاسأل كثيراً، فإنك تدعو كريما».

التاسع: أن يفتتح الدعاء بذكر الله تعالى فلا يبدأ بالسؤال. قال سلمة بن الأكوع: ما سمعت رسول الله ﷺ يستفتح الدعاء إلا استفتحه بقوله: سبحان ربى الأعلى الوهاب. قال أبو سليمان الدارانى رحمه الله: من أراد أن يسأل الله حاجته فليبدأ بالصلاة على النبى ﷺ ، ثم يسأل حاجته، ثم يختم بالصلاة على النبى ﷺ فإن الله عز وجل يقبل الصلاتين، وهو أكرم من أن يدع ما بينهما.

العاشر: وهو الأدب الباطن، وهو الأصل فى الإجابة، وهو التوبة ورد المظالم والإقبال على الله بكنه الهمة، فذلك هو السبب القريب فى الإجابة.

وقد أضاف إليها فضيلة الشيخ السيد سابق آدابًا أخرى فى كتابه فقه السنة، وذلك من مثل:

١ـ تحرى الحلال :

أخرج الحافظ بن مردويه عن ابن عباس قال: تليت هذه الآية عند النبى ﷺ : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّبًا﴾[1]، فقام سعد بن أبى وقاص فقال: «يارسول الله، ادع الله أن يجعلنى مستجاب الدعوة. فقال: «ياسعد، أطب مطعمك

(١) البقرة الآية: ١٦٨ .

تكن مستجاب الدعوة، والذى نفس محمد بيده إن الرجل ليقذف اللقمة الحرام فى جوفه ما يتقبل منه أربعين يوما، وأيما عبد نبت لحمه من السحت والربا فالنار أولى به».

وفى مسند الإمام أحمد وصحيح مسلم عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين. فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾[1]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾[2]، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، ومطعمه حرام، وملبسه حرام، وغذى بالحرام يمد يديه إلى السماء: يارب، يارب، فأنَّى[3] يستجاب لذلك».

٢ـ رفع اليدين حذو المنكبين:[4]

لما رواه أبو داود عن ابن عباس قال: المسألة أن ترفع يديك حذو منكبيك، أو نحوهما، والاستغفار أن تشير بإصبع واحدة، والابتهال أن تمد يديك جميعا، وروى عن مالك بن يسار أن النبى ﷺ قال: «إذا سألتم الله فاسألون ببطون أكفكم، ولا تسألوه بظهورها» وروى عن سلمان، أنه ﷺ قال: «إن ربكم تبارك وتعالى حى كريم، يستحى من عبده إذا رفع يديه أن يردهما صفراً».

٣ـ اختيار جوامع الكلم:

مثل: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾، فقد كان النبى ﷺ يستحب الجوامع من الدعاء، ويدع ما سوى ذلك. وفى سنن ابن ماجه: أن

(١) المؤمنون الآية: ٥١ .

(٢) البقرة الآية: ١٧٢ .

(٣) فكيف يستجيب الله دعاء مثل هذا الرجل؟

(٤) المنكب: بفتح الميم وكسر الكاف، مجمع عظم العضد والكتف.

رجلاً أتى النبى ﷺ فقال: يارسول الله، أى الدعاء أفضل؟ قال: «سل ربك العفو والعافية فى الدنيا والآخرة» ثم أتاه فى اليوم الثانى والثالث فسأله هذا السؤال، وأجيب بذلك الجواب. ثم قال: «فإذا أعطيت العفو والعافية فى الدنيا والآخرة فقد أفلحت». وفيه أن رسول الله ﷺ قال: «ما من دعوة يدعو بها العبد أفضل من: اللهم إنى أسألك المعافاة فى الدنيا والآخرة».

٤- تجنب الدعاء على نفسه وأهله وماله:

فعن جابر أن رسول الله ﷺ قال: «لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على خدمكم، ولا تدعوا على أموالكم، حتى لا توافقوا من الله تبارك وتعالى ساعة نيل فيها عطاء فيستجاب لكم».

٥- إذا دعا لغيره أن يبدأ بنفسه:

قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ﴾[١] وعن أبى بن كعب قال: كان رسول الله ﷺ إذا ذكر أحداً فدعا له بدأ بنفسه. رواه الترمذى بإسناد صحيح.

★★★★

(١) الحشر الآية: ١٠ .

دعاء الفاتحة

أو دعاء المؤمنين فى كل صلاة

﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾[١].

المعنى :

اللهم ارزقنا وألهمنا الثبات على دينك، والتصديق برسلك، والتمسك بكتابك، والعمل بما أمرتنا به، وتجنب ما نهيتنا عنه، فهذا هو صراطك المستقيم، وهو الصراط الذى ارتضيته، ووفقت له من أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين[٢]، وهو غير صراط الذين (*) فقدوا العلم فهم هائمون فى الضلالة لا يهتدون إلى الحق، وهم النصارى.

موقع الدعاء :

هذا الدعاء هو النصف الثانى من فاتحة الكتاب التى يقرؤها المسلم فى كل ركعة من صلاته، فهو دعاء علمه الله عباده المسلمين يدعونه به فى موقف المناجاة، وفى الصلاة التى فرضها الله من فوق سبع سماوات لتكون صلة بين العبد وخالقه، ولا تسقط عن المكلف إلا بموته، فهو دائم الصلاة حتى فى مرضه وحربه، لأنه فى حاجة دائمة إلى هداية ربه، يصلى وهو صحيح أو مريض فيدعو بهذا الدعاء، ويصلى حال السلم وحال الخوف فيدعو بهذا الدعاء.

---

(١) الفاتحة الآيتان: ٦، ٧ .

(٢) وهم المذكورون في سورة النساء الآية: ٦٩ في قوله: ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ .

(*) استحقوا غضبك لأنهم علموا الحق وعدلوا عنه وهم اليهود، وغير صراط الذين.

ومما تجدر الإشارة إليه أن سورة البقرة، وهى السورة التى تلى الفاتحة مباشرة، وفى الآية الثانية منها، وبعد افتتاحها بالأحرف المقطعة، تشير إلى القرآن الكريم، مبينة أن فيه الهداية للمتقين، وكأن سورة البقرة ترد على من يدعو بدعاء الفاتحة ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، فتقول له: إن كنت تريد الهداية حقا فالتمسها فى هذا الكتاب الكريم ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ وهذا من إعجاز ترتيب سور القرآن الكريم.

من آداب هذا الدعاء :

هذا الدعاء سبقه حمد الله والثناء عليه بذكر أسمائه الحسنى المستلزمة لصفاته العليا، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[١]، مع ما تضمنه هذا الحمد من ذكر يوم الجزاء والحساب، وما يبعثه ذلك فى نفس المؤمن من خشية الله تبارك وتعالى، كما سبقه إخلاص العبادة لله وحده، وتوحيده بالألوهية، وتنزيهه أن يكون له شريك أو نظير ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ أى لا نعبد إلا أنت، وإفراده سبحانه وتعالى بالاستعانة والتوجيه ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ أى لا نستعين إلا بك.

يقول ابن كثير رحمه الله: وهذا أكمل أحوال السائل، أن يمدح مسئوله ثم يسأله حاجته، وحاجة إخوانه المؤمنين بقوله: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ لأنه أنجع للإجابة، ولهذا أرشد الله إليه لأنه الأكمل[٢].

ما جاء فى فضل هذا الدعاء :

ما رواه مسلم عن أبى هريرة رضي الله عنه. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله عز وجل: قسمت الصلاة[٣] بينى وبين عبدى نصفين، ولعبدى ما سأل، فإذا قال:

---

(١) يوم الدين تعني: يوم الجزاء.

(٢) تفسير ابن كثير جـ١ ص ١٢ .

(٣) أطلق لفظ الصلاة، والمراد القراءة كقوله تعالى: ﴿ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها﴾ ثم بين تفصيل هذه القسمة في قراءة الفاتحة، فدل ذلك على عظمة القراءة بها في الصلاة، وأنها من أكبر أركانها. راجع تفسير ابن كثير جـ١ ص١٢ .

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال الله: حمدنى عبدى، وإذا قال: ﴿الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ﴾ قال الله: أثنى علىَّ عبدى، فإذا قال: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ قال الله: مجدنى عبدى، وقال مرة: فوضنى عبدى، فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قال: هذا بينى وبين عبدى، ولعبدى ما سأل، فإذا قال: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝٧﴾ قال الله: هذا لعبدى ولعبدى ما سأل. وهكذا رواه النسائى، وقال الترمذى: هذا حديث حسن.

★★★★

من دعاء إبراهيم وإسماعيل

ـ عليهما السلام ـ

﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٢٦) وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٢٨) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٢٩)﴾[١].

إن دعاء الأنبياء والمرسلين فى القرآن الكريم يحتل مساحة واسعة، ويضع بين يدى المسلم نماذج رائعة فى إخلاص الدعاء لله من صفوة عباده ـ عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى السلام ـ وأكثر الأنبياء دعاء فى القرآن الكريم هو إبراهيم الخليل عليه السلام.

وإذا تأملنا أدعية إبراهيم ـ عليه السلام ـ وجدنا أنفسنا أمام رسول عظيم من أولى العزم الذى قال عنه ربه: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ نتأمل دعاء إبراهيم فنجد أن شغله الشاغل هو عقيدته، وعقيدة أبنائه من بعده، وعقيدة أمته المسلمة، إنه يطلب الأمن والخير لمن آمن منهم بالله واليوم الآخر حتى يؤدوا الرسالة التى خلقهم الله من أجلها: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾.

---

(١) البقرة الآيات: ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩ .

كما جاء فى سورة إبراهيم: ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾.

معنى الدعاء:

ـ رب اجعل مكة بلداً آمنًا، وقد أجاب الله دعاءه فجعله حرمًا لا يسفك فيه دم، ولا يظلم فيه أحد، ولا يصطاد صيده، ولا يختلى خلاه. ﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ وقد فعل بنقل الطائف من الشام إليه وكان أقفر لا زرع فيه ولا ماء، وها هو بحمد الله يزداد خيره وتتدفق ثماره عاما بعد عام ببركة دعاء إبراهيم عليه السلام.

ـ ثم يدعو هو وابنه إسماعيل ربهما بعد أن استجابا لأمره برفع القواعد من البيت الحرام، يدعوانه أن يتقبل بناءهما فهو السميع لصدق قولهما، العليم بإخلاص عملهما.

ـ ثم ما أجمل أن يوفقهما الله للانقياد إليه، فذلك أعظم ما يتطلع إليه العبد ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ ﴾، وأن يجعل من ذريتهما أمة مسلمة منقادة لربها ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾، وأن يعلمهم شرائع عبادتهم أو مناسك حَجّهم، وأن يتوب عليهم ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾.

يقول الإمام السيوطى: سألاه التوبة مع عصمتهما تواضعا وتعليما لذريتهما[1].

إن إشفاق إبراهيم ـ عليه السلام ـ على أمته من بعده، وخوفه أن تنحرف عن الإسلام، وأن تضل كما ضلت أمم بعد رسلها، وحرصه على أن تستمر رسالة الإسلام موصولة، كل ذلك يجعله يضرع إلى الله أن يبعث فى هذه الأمة رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آيات الله، ويعلمهم الكتاب والحكمة، ويطهرهم من الشرك والكفر ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٢٩) ﴾.

(١) تفسير الجلالين. ص١٨ طبعة الشمرلي بتحقيق وتعليق د. شعبان محمد إسماعيل.

وقد أجاب الله دعاءه فبعث فى أمته خاتم رسله محمداً ﷺ وصدق رسولنا الكريم القائل: «أنا دعوة أبى إبراهيم».

موقع الدعاء:

الدعاء جزء من الآية (١٢٦)، وجزء من الآية (١٢٧)، والآيتان (١٢٨،١٢٩) من سورة البقرة، وقد جاء الدعاء بعد أن اختبر الله إبراهيم ـ عليه السلام ـ بأوامر ونواه كلّفه بها، قيل هى مناسك الحج، وقيل هى سنن الفطرة من المضمضة، والاستنشاق، والسواك، وقص الشارب، وفرق الرأس، وقلم الأظفار، ونتف الإبط،وحلق العانة، والختان، والاستنجاء، فأداهن كاملة فاستحق من ربه أن يجعله للناس إماما، ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾، ويأتى الدعاء ـ كذلك ـ بعد أن عهد الله إليه وإلى ابنه إسماعيل أن يطهرا بيته الحرام للطائفين والمقيمين والركع السجود ﴿وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾، وهنا يرفع إبراهيم أكف الضراعة إلى الله أن يجعل هذا البلد آمنا وأن يرزق أهله المؤمنين من الثمرات، ويرفع إبراهيم وابنه إسماعيل قواعد البيت، ويتوجهان إلى الله أن يتقبل عملهما ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

من آداب هذا الدعاء:

أنه كما رأينا يأتى بعد طاعة لله، وأداء للتكاليف بصورة تامة كما عبّر القرآن الكريم، وبعد إخلاص لله فى العمل والعبادة، كما أن الدعاء نفسه ينصب على طلب الطاعة والخير المعين عليها ثم نجد التسبيح والتعظيم فى كل دعاء بذكر أسماء الله الحسنى، وصفاته العليا ﴿إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾، ﴿إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾، ﴿إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

فهل لنا أن نتخذ من إبراهيم ـ عليه السلام ـ قدوة لنا فى دعائنا، وقد قال لنا ربنا: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِى إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾.

يقول ابن كثير: روى ابن أبى حاتم من حديث محمد بن يزيد بن خنيس المكى عن وهيب بن الورد أنه قرأ: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ثم يبكى ويقول: ياخليل الرحمن، ترفع قوائم بيت الرحمن، وأنت مشفق أن لا يتقبل منك.

وهذا كما حكى الله تعالى عن حال المؤمنين الخُلص فى قوله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ أى يعطون ما أعطوا من الصدقات والنفقات والقربات، وقلوبهم خائفة أن لا يتقبل منهم[١].

****

---

(١) ابن كثير جـ١ ص١٧٦ .

دعاء الصابرين

﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾[1].

هذا الدعاء يسمى (الاسترجاع) أى طلب الرجوع إلى الله، وهو توجه من العبد إلى ربه حين تنزل به مصيبة أو كارثة، وهو لجوء إلى الله وتحصن به من الجزع والهلع.

المعنى :

نحن عبيد الله وملكه يتصرف فينا كيفما يشاء، فنحن نؤمن بأن ما أخطأنا لم يكن ليصيبنا، وأن ما أصابنا لم يكن ليخطئنا، وأنه لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا، ونحن فى هذه الدار مبتلون على قدر إيماننا، ثم نحن راجعون فى النهاية إلى ربنا ليحاسبنا، وأن ما أصابنا سيكون ـ بمشيئة الله ـ فى ميزان حسناتنا ما دمنا من الصابرين.

موقع الدعاء :

الدعاء جزء من الآية: (١٥٦) من سورة البقرة، وتسبقها آية يخبرنا الله فيها أنه يبتلى عباده أى يختبرهم ويمتحنهم بشىء من الخوف والجوع، وذهاب بعض الأموال، وموت الأصحاب والأقارب والأحباب، ونقص بعض الثمرات، ثم عقب الله سبحانه وتعالى على هذا الاختبار بالبشرى لمن اجتاز: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾، وما علامة صبرهم ياربنا؟ قال: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾.

---

(١) البقرة الآية: ١٥٦ .

من آداب هذا الدعاء :

أنه جاء بأسلوب خبرى يفيد منتهى التسليم والخضوع والتفويض لله سبحانه وتعالى.

ما جاء فى فضل هذا الدعاء :

يكفى أن الله تعالى أعقبه بقوله: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾، قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ نعم العدلان، ونعمت العلاوة. ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ فهذان العدلان ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ فهذه العلاوة، وهى ما توضع بين العدلين، فهى زيادة فى الحمل، فكذلك هؤلاء أعطوا ثوابهم، وزيدوا أيضًا[(١)].

ولقد ورد فى ثواب الاسترجاع وهو قول: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ عند المصائب أحاديث كثيرة، ففى صحيح مسلم عن أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ أنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرنى فى مصيبتى، واخلف لى خيرا منها، إلا آجره الله فى مصيبته، وأخلف له خيرا منها**».

قالت: فلما توفى أبو سلمة قلت كما أمرنى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأخلف الله لى خيرا منه، رسول الله صلى الله عليه وسلم .

★★★★

(١) راجع ابن كثير.

دعاء الحجيج

﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾[1].

المعنى :

هذه الدعوة ـ كما يقول ابن كثير ـ جمعت كل خير فى الدنيا، وصرفت كل شر، فإن الحسنة فى الدنيا تشمل كل مطلوب دنيوى من عافية، ودار رحبة، وزوجة حسنة، ورزق واسع، وعلم نافع، وعمل صالح، ومركب هين، وثناء جميل إلى غير ذلك مما اشتملت عليه عبارات المفسرين، ولا منافاة بينها، فإنها كلها مندرجة فى الحسنة فى الدنيا، وأما الحسنة فى الآخرة فأعلى ذلك دخول الجنة، وتوابعه من الأمن يوم الفزع الأكبر، وتيسير الحساب، وغير ذلك، من أمور الآخرة الصالحة، وأما النجاة من النار فهو يقتضى تيسير أسبابه فى الدنيا من اجتناب المحارم والآثام، وترك الشبهات والحرام، ولهذا وردت السنة بالترغيب فى هذا الدعاء.

موقع الدعاء :

هذا الدعاء جزء من الآية: (٢٠١) من سورة البقرة، وقد سبقته آيات تحدثت عن بعض مناسك الحج كالإفاضة من عرفات، وذكر الله عند المشعر الحرام، وذكر الله بعد المناسك، وهو مسبوق أيضا بالحديث عن صنف من الناس همه الدنيا لا يسأل الله إلا فى أمر دنياه، وهو معرض عن أخراه. أما المؤمنون فهم الذين يدعون بهذا الدعاء الجامع بين حسنة الدنيا وحسنة الآخرة.

﴿فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ (١٩٨) ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٩٩) فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ

(١) البقرة الآية: ٢٠١ .

ذكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ [1] (٢٠٠) وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾.

ثم هو متبوع أيضا بالأمر بذكر الله فى أيام التشريق بمنى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

من آداب هذا الدعاء :

أنه محاط بذكر الله ـ وإذا كان الله يأمر بذكره كثيراً بعد قضاء العبادات ـ كما يقول ابن كثير ـ فإن أعظم الدعاء ما كان محاطا بذكر الله تعالى، وما كان بعده عبادة من العبادات فإن ذلك أرجى لقبول الدعاء.

بعض ما جاء فى فضل هذا الدعاء :

أخرج مسلم عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عاد رجلا من المسلمين قد صار مثل الفرخ، فقال له رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «هل تدعو الله بشىء أو تسأله إياه»؟ قال: نعم، كنت أقول اللهم ما كنت معاقبى به فى الآخرة فعجّله لى فى الدنيا، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «سبحان الله، لا تطيقه، أو لا تستطيعه فهلا قلت: ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار» قال فدعا الله فشفاه.

وروى ابن مردويه عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ما مررت على الركن إلا رأيت عليه ملكاً يقول آمين، فإذا مررتم عليه فقولوا: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾».

وفى الحديث المتفق عليه، عن أنس رضي الله عنه قال: كان أكثر دعاء النبى صلى الله عليه وسلم : «اللهم ربنا آتنا فى الدنيا حسنة، وفى الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار»[2].

---

(١) من خلاق: من نصيب.

(٢) اللؤلؤ والمرجان: الحديث رقم ١٧٢٣ .

دعاء المقاتلين من أتباع الرسل

﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾(١).

المعنى :

ربنا أنزل علينا صبرًا من عندك، وثبت أقدامنا فى لقاء العدو، بتقوية قلوبنا على الجهاد، وجنبنا الفرار والعجز، وانصرنا على القوم الكافرين.

موقع الدعاء :

الدعاء جزء من الآية: (٢٥٠) من سورة البقرة فى سياق قصة طالوت وجالوت، بعد أن عرضت الآيات قصة الملأ من بنى إسرائيل الذين طلبوا من أحد أنبيائهم أن يبعث لهم ملكًا ليقاتلوا تحت رايته فى سبيل الله، فلما أجابهم إلى ما طلبوا جبنوا، وهذه سمة من سمات بنى إسرائيل فى نقض العهد، والنكث بالوعد، والنكوص عن التكاليف إلا قليلا منهم، ولما أخبرهم نبيهم أن الله قد بعث لهم طالوت ملكا تعجبوا وقالوا: كيف يكون له الملك علينا وليس من سبط المملكة ولا النبوة ـ حيث كان دباغا أو راعيا، وقالوا بمنطق اليهود: كيف يكون ملكا ولم يؤت سعة من المال؟ فأخبرهم نبيهم أن ذلك اصطفاء الله، وليس لهم أن يعترضوا، وأن الله أعطاه أداة الملك من بسطة فى العلم والجسم، وكان أعلم بنى إسرائيل يومئذ، وأجملهم وأتمهم خلقة. ولم يؤمنوا بنبوة شمعون أو يطيعوا لطالوت إلا بعد أن جاءتهم الملائكة يحملون التابوت الذى كان قد سلبه منهم أعداؤهم وفيه مخلفات أنبيائهم من آل موسى وآل هارون، وقيل كانت فيه نسخة الألواح التى أعطاها الله لموسى على الطور، فسكنت نفوسهم لقيادة طالوت.

وأراد طالوت أن يمحص الجيش قبل المعركة، وأن يخوض بهم تجربة لغربلة

---

(١) البقرة الآية: ٢٥٠ .

الجيش من الضعاف والمتخاذلين، فأخبرهم أن الله مبتليهم بنهر فمن شرب منه فليس من جند طالوت، ومن لم يطعمه فإنه القادر على مواجهة المعركة إلا من اغترف غرفة بيده يبل بها ظمأه، وقال الذين جاوزوا النهر مع طالوت - حيث أصبحوا قلة - لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده. ولكن الفئة المختارة منهم، والموقنين بملاقاة الله، ونصر الله، قالوا: كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله، والله مع الصابرين.

وحانت الساعة الحاسمة الفاصلة. القلة المؤمنة فى مواجهة الكثرة الكافرة، وبرز المؤمنون لجالوت وجنوده، وهنا يتوجهون إلى الله بهذا الدعاء: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

وأجاب الله دعاء المؤمنين الصابرين. ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾.

من آداب هذا الدعاء:

أنه جاء بعد طاعة المؤمنين لربهم، ولقائدهم، وبعد أن اجتازوا الاختبار، وجاوزوا النهر، وبرزوا لجالوت وجنوده الكافرين، واستعدوا لخوض المعركة الفاصلة، واثقين من نصر الله للمؤمنين مع قلة عددهم وعتادهم، فهو دعاء وتوجه إلى الله بعد الأخذ بالأسباب، وهذا أرجى للإجابة، ولذلك جاءت الإجابة بفاء التعقيب: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.

ولقد راعوا فى الدعاء ترتيبا بديعا - كما يقول العلامة أبو السعود - حيث قدموا سؤال إفراغ الصبر الذى هو ملاك الأمر، ثم سؤال تثبيت القدم المتفرع عليه، ثم سؤال النصر الذى هو الغاية القصوى، ثم وضع الكافرين فى موضع الضمير العائد إلى جالوت وجنوده للإشعار بعلة النصر عليهم. (تفسير أبى السعود ج١ ص٢٤٤)

دعاء خاتم الرسل محمد ﷺ

﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾

﴿ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾

﴿ رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ﴾

﴿ رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾

﴿وَاعْفُ عَنَّا﴾

﴿وَاغْفِرْ لَنَا﴾

﴿وَارْحَمْنَا﴾

﴿أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾(١).

المعنى :

ـ سمعنا ما أمرتنا به ربنا سماع قبول، وفهمناه، وقمنا به، وامتثلنا العمل بمقتضاه، فنسألك المغفرة والرحمة واللطف. إليك المرجع والمآب يوم الحساب.

ـ ربنا لا تؤاخذنا إن تركنا فرضًا ـ لا عن عمد ـ ولكن على جهة النسيان، أو فعلنا حرامًا ـ لا عن عمد ـ ولكن على جهة النسيان، أو أخطأنا الصواب فى العمل جهلا منا بوجهه الشرعى.

ـ ربنا ولا تكلفنا من الأعمال ما يثقل علينا حمله كما حملته على بنى إسرائيل من قتل النفس بالتوبة، وإخراج ربع المال فى الزكاة، وقرض موضع النجاسة.

ـ ربنا ولا تحملنا من التكاليف والمصائب والبلاء ما لا نطيقه، ولا قبل لنا به.

---

(١) البقرة الآية: ٢٨٥،٢٨٦ .

- وامح عنا ما بيننا وبينك مما تعلمه من تقصيرنا وزللنا.

- واغفر لنا فيما بيننا وبين عبادك فلا تظهرهم على مساوئنا، وأعمالنا القبيحة.

- وارحمنا فيما يستقبل فلا توقعنا بتوفيقك فى ذنب آخر(١).

- أنت ولينا وناصرنا وعليك توكلنا، ولا حول ولا قوة إلا بك فانصرنا على القوم الكافرين، الذين جحدوا دينك، وأنكروا وحدانيتك، ورسالة نبيك، وعبدوا غيرك، وأشركوا معك عبادك، فانصرنا عليهم، واجعل لنا العاقبة عليهم فى الدنيا والآخرة.

موقع الدعاء :

هذا الدعاء هو ختام سورة البقرة، أطول سور القرآن الكريم، وهى من السور المدنية الجامعة، والتى تشتمل على بيان أصول العقيدة، وذكر أدلة التوحيد، ومبدأ خلق الإنسان،وبيان أصناف الخلائق أمام هداية القرآن، وذكرت أنهم ثلاثة: المؤمنون، والكافرون والمنافقون كما تعرضت السورة لتاريخ اليهود الطويل، وذكرتهم بنعمة الله على أسلافهم، وبما أصاب هؤلاء الأسلاف حينما التوت عقولهم عن تلقى دعوة الحق - وقد استدعى ذلك جوار المسلمين لليهود فى المدينة -.

واشتمل النصف الأخير من السورة على التشريع الإسلامى الذى اقتضاه تكون الجماعة الإسلامية المتميزة فى عبادتها، ومعاملاتها، وعاداتها، فاشتملت على كثير من أحكام العبادات، وكثير من تشريعات الأسرة من طلاق، وعدة، وخلع، ورضاع، وكثير من أحكام المعاملات كالبيع والربا، والاستيثاق فى الديون بالكتابة والاستشهاد والرهن.

---

(١) ولهذا قالوا إن المذنب محتاج إلى ثلاثة أشياء: أن يعفو الله عنه فيما بينه وبينه، وأن يستر عيبه عن عباده فلا يفضحه به بينهم، وأن يعصمه فلا يوقعه في نظيره. ابن كثير جـ١ ص٣٤٤ .

ثم ختمت السورة الكريمة بثلاث آيات: الأولى هي قوله تعالى: ﴿ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾(1). وقد روى ابن كثير عن الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن هذه الآية لما نزلت اشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ فأتوا رسول الله ﷺ، ثم جثوا على الرُّكب، وقالوا: يارسول الله، كلفنا من الأعمال ما نطيق: الصلاة، والصيام، والجهاد، والصدقة، فقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها، فقال رسول الله ﷺ: «أتريدون أن تقولوا كما قال قال أصحاب الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا؟ بل قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، فلما أقر بها القوم، أنزل الله في أثرها: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾. فلما فعلوا ذلك نسخها الله، فأنزل: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ إلى آخره.

وروى الإمام أحمد بطريق أخرى عن مجاهد قال: دخلت على ابن عباس فقلت يابن عباس كنت عند ابن عمر فقرأ هذه الآية فبكى، قال أية آية؟ قلت: ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ ﴾ قال ابن عباس: إن هذه الآية حين نزلت غُمَّ أصحاب رسول الله ﷺ غما شديدا، وقالوا: يارسول الله هلكنا، إن كنا نؤاخذ بما تكلمنا وبما نعمل، فأما قلوبنا فليست بأيدينا، فقال لهم الرسول ﷺ: «قولوا: سمعنا وأطعنا» فقالوا: سمعنا وأطعنا، قال: فنسختها هذه الآية ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ ﴾ إلى ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ

(1) البقرة الآية: ٢٨٤ .

وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾، فتجوز لهم عن حديث النفس وأخذوا بالأعمال.

وفى رواية عن ابن عباس : ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾ أنها لم تنسخ ولكن الله إذا جمع الخلائق يوم القيامة يقول: إنى أخبركم بما أخفيتم فى أنفسكم بما لم يطلع عليه ملائكتى، فأما المؤمنون فيخبرهم ويغفر لهم ما حدثوا به أنفسهم، وهو قوله: ﴿ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ ﴾ يقول: يخبركم، وأما أهل الشك والريب فيخبرهم بما أخفوا من التكذيب، وهو قوله: ﴿ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ﴾ وهو قوله: ﴿وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ أى الشك والنفاق.

وعن الحسن البصرى أنه قال هى محكمة لم تنسخ، واختار ابن جرير ذلك واحتج على أنه لا يلزم من المحاسبة المعاقبة، وأنه تعالى قد يحاسب ويغفر، وقد يحاسب ويعاقب.

وروى مسلم عن أبى هريرة ﷺ قال:جاء ناس من أصحاب رسول الله ﷺ فسألوه، فقالوا: إنا نجد فى أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به، قال: «وقد وجدتموه؟». قالوا: نعم، قال: «ذاك صريح الإيمان».

ولقد روى مسلم أيضاً عن أبى هريرة، قال: رسول الله ﷺ : «مَنْ همَّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، ومن هَمَّ بحسنة فعملها كتبت له عشرا إلى سبعمائة، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب له، وإن عملها كتبت».

وهكذا يأتى الدعاء بعد هذه الآية التى تحدثت عن ملكه وعلمه، وعن إحصائه لخفايا النفوس، وعن قدرته ومشيئته، وعذابه ورحمته، وبعد تقرير لإيمان خاتم رسله ﷺ والمؤمنين معه بالله وملائكته وكتبه ورسله، وقولهم (سمعنا وأطعنا).

من آداب هذا الدعاء :

ـ أنه جاء بعد إثبات وتقرير إيمان الرسول ﷺ وكل فرد من المؤمنين الداعين معه بالله وملائكته وكتبه ورسله.

ـ أن المؤمنين الداعين قدموا بين دعائهم بقولهم (سمعنا وأطعنا) فهم يستحقون أن يدعوا ربهم بعد أن قدموا ما يرجون معه إجابة دعائهم.

ـ أن الجزء الأول من الدعاء يعقبه ذكر اليوم الآخر، وما يخشاه المؤمن من وقوف بين يدى الله للحساب ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾.

ـ تكرار النداء فى كل دعاء بلفظ (ربنا) مما يشير إلى غاية الخضوع والتذلل، كما يدل على ما يؤمله المؤمن من إجابة الله لدعائه، فهو ربه وخالقه ولن يتخلى عنه مهما أذنب إن أناب إليه، ولاذ بجنابه.

ـ ثم انظر إلى قول الله تعالى على لسان المؤمنين الداعين: ﴿أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾. حيث قدموا لطلب النصر بإثبات الولاية لله الحق، فلا حول ولا قوة إلا به، ولا نصر إن لم يتولهم، ويأخذ بيدهم.

ما قيل فى فضل هذا الدعاء :

روى البخارى، وأحمد بن حنبل عن ابن مسعود رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ : «من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه».

وروى الإمام أحمد عن أبى ذر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ : «أعطيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش، لم يعطهن نبى قبلى».

وروى ابن مردويه عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ إذا قرأ آخر سورة البقرة وآية الكرسى ضحك، وقال: «إنها من كنز الرحمن تحت العرش».

وروى الترمذى عن النعمان بن بشير عن النبى ﷺ قال: «إن الله كتب كتابا قبل أن يخلق السماوات والأرض بألفى عام أنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة، ولا يقرأ بهن فى دار ثلاث ليال فيقربها شيطان»، ورواه الحاكم فى مستدركه من حديث حماد بن سلمة وقال صحيح على شرط مسلم.

وقد نقل ابن كثير من رواية عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، قال: بينا رسول الله ﷺ وعنده جبريل إذ سمع

نقيضا فوقه، فرفع جبريل بصره إلى السماء، فقال: هذا باب قد فتح من السماء ما فتح قط، قال فنزل منه ملك فأتى النبى ﷺ فقال له أبشر قد أوتيتهما لم يؤتهما نبى قبلك، فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ حرفا منها إلا أوتيته، رواه مسلم والنسائى وهذا لفظه.

****

دعاء الراسخين فى العلم

﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ۝٨ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾(١).

المعنى :

ربنا لا تمل قلوبنا عن الحق بعد إذ هديتنا إليه، فنسألك ربنا أن تهب لنا من عندك رحمة، تثبت بها قلوبنا، وتزيد بها إيماننا، فالهداية من فيض عطائك، واليقين من بحر سخائك، فأنت أنت العظيم فى عطائه، وأنت أنت الذى لا تنفد خزائن رحمته.

ربنا إنك جامع الناس جميعا، هداة وزائغين، راشدين وضالين، ليوم لا شك فيه لتجازيهم بأعمالهم، نسألك الثبات على الحق، والبعد عن الزيغ، آملين أن ننال رضاك، إنك لا تخلف الميعاد.

موقع الدعاء :

الدعاء تضمنته الآيتان الثامنة والتاسعة من سورة آل عمران، وجاء الدعاء بعد الحديث عن المحكم والمتشابه من آيات القرآن وموقف كل من أهل الزيغ والضلال وأهل العلم الراسخين فيه من الآيات المتشابهات، فأما الفريق الأول وهم الزائغون عن الحق إلى الباطل فيتبعون المتشابه الذى يمكنهم أن يحرفوه إلى مقاصدهم لما يحتمله لفظه من معان، وذلك طلبا لإضلال أتباعهم بإيهامهم أنهم يحتجون على بدعتهم بالقرآن، كما لو احتج النصارى بأن القرآن قد نطق بأن عيسى روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وتركوا الاحتجاج بالآيات المحكمات فى شأن عيسى كقوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾، إن هذا الفريق يتتبع المتشابه

(١) آل عمران الآيات: ٨، ٩ .

من القرآن ابتغاء إضلال الناس به وتحريفه. أما الفريق الآخر وهم الراسخون فى العلم فهم يؤمنون بكل الكتاب، ويفسرون المتشابه بالمحكم ويقولون آمنا به كُلٌّ من عند ربنا، هؤلاء هم أولوا الألباب، أصحاب العقول السليمة، والفطرة النقية. وهذا دعاؤهم عندما يرون مسالك أهل الزيغ والضلال، فيسألون الله أن يثبت قلوبهم على الهداية والرشاد.

﴿هُوَ الَّذِى أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ (٧) رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ (٨) رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾.

من آداب هذا الدعاء:

أنه يتخلله ذكر الله. وتعظيم له، وثناء بما هو أهله، ففى ختام الآية الأولى من الدعاء إقرار بعطاء الله الفياض ﴿إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ ، وفى ختام الثانية إقار بوعد الله الذى لا يتخلف ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ . وفى الآية الثانية مناجاة لله بذكر اليوم الآخر. يقول العلامة السيوطى: والغرض من الدعاء بذلك بيان أن همهم أمر الآخرة؛ ولذلك سألوا الثبات على الهداية لينالوا ثوابها.

ما جاء فى فضل هذا الدعاء:

ما رواه النسائى وأبو داود وابن مردويه عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان إذا استيقظ من الليل قال: «لا إله إلا أنت سبحانك أستغفرك لذنبى، وأسألك رحمتك، اللهم زدنى علما، ولا تزغ قلبى بعد إذ هديتنى، وهب لى من لدنك رحمة، إنك أنت الوهاب».

ومـا روى عن عـبـد الله الصنابـحى أنه صلى وراء أبى بكر الـصـديق ـ ﷺ ـ المغرب فقرأ فى الركـعتين الأوليين بأم القرآن وسورتين من قـصار المفصل، وقرأ فى الركعـة الثالثـة.. قال فـدنوت منه حتى إن ثيـابى لتكاد تمس ثيابه فسمـعته يـقرأ بأم الكتاب وهذه الآية ﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ الآية.

★★★★

دعاء المتقين

﴿رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾(١).

المعنى :

ربنا إننا صدقنا تصديقًا جازمًا بك وبرسولك، وبكتابك، تصديقًا مقرونًا بالعمل بما شرعته لنا فى كتابك وعلى لسان نبيك، ولكننا مع التصديق والعمل قد نخطئ، وقد نقصر، فاغفر لنا ذنوبنا، وتقصيرنا فى أمرنا، بفضلك ورحمتك، وقنا عذاب النار.

موقع الدعاء :

الدعاء جزء من الآية (١٦) من سورة آل عمران، وجاء الدعاء وصفا للمتقين المذكورين فى الآية (١٥)، وقد جاء الحديث عن المتقين وصفاتهم فى الآيات (١٥، ١٦، ١٧) بعد الحديث عن الشهوات الدنيا التى زينها الله للناس ابتلاء، أو زينها الشيطان إغواء. وهى النساء، والبنون، والمال من ذهب وفضة وخيل وأنعام وزرع.

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾. ثم قال تعالى: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ ﴾ أى قل يا محمد: أؤنبئكم بخير مما زين للناس فى الحياة الدنيا من زهرتها ونعيمها الذى هو زائل لا محالة. ثم أخبر الله عن ذلك فقال: ﴿ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾. لقد ادخر الله لعباده المتقين الذين لم تلههم زينة الحياة الدنيا وشهواتها، جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها لا يبغون عنها حولاً، لهم فيها أزواج مطهرة من الدنس، والخبث، والحيض والنفاس مما يعترى نساء الدنيا، وتجلى عليهم فيها رضوان الله فلا يسخط عليهم بعده أبدا، ثم وصفت الآية هؤلاء المتقين بأنهم هم الذين يدعون ربهم

(١) آل عمران الآية: ١٦ .

بهذا الـدعاء، حيـث قال: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾. ثم وصفتهم الآية التى تلى هذا الدعاء بقوله تعالى: ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ﴾. فهم صابرون فى قيـامهم بالطاعات وتركهم للمحرمات، وصادقون فيمـا أخبروا به من إيمانهم، وطائعون خاضعون لله، وهم المنفـقـون من أمـوالهم فى جـمـيع مـا أمـروا به من الطاعـات. وصلة الأرحـام والقـرابات، وسد الخـلات، ومـواساة ذوى الحـاجـات، ثم خـتـمت أوصـافهم بهـذا الوصف الجميل: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ﴾ فهم يرفعون أكف الضراعة إلى الله، فى آخر الليل، والناس نيـام يطلبون مغـفرة الله ورضوانه، ولقـد دل ذلك على أن الدعاء المذكور خير ما يكون فى وقت السحر.

أرأيت كيف بـدأ وصف المتقين بـأنهم يدعون الله، وكيـف ختم وصفـهـم بأنهم يستغفرون الله، وفى هذا ما فيه من دلالة على عظم شأن الدعاء والتوجه إلى الله.

من آداب هذا الدعاء:

أنه مسـبوق بالإقرار بالإيمان والتـصديق ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا﴾، ويصحـبه الشـعور بالذنب والتـقصيـر، فمع أن الله وصفـهـم بكل الصفـات التى رأينا من صبـر وصدق وخشوع وسخاء، إلا أنهم يشـعرون بأنهم مذنبون مقصرون، كمـا أن الدعاء يصحبه خشية الله والرهبة من عذابه ﴿وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.

ما جاء فى فضل هذا الدعاء:

وردت أحاديث كثـيرة عن فضل الاستغـفار وعن الدعاء فى الأسحـار، منها ما ثبت فى الصحـيحين أن رسـول الله ﷺ قال: «ينزل الله تبارك وتعـالى فى كل ليلة إلى السماء الدنيا حـيث يبقى ثلث الليل الأخير، فيقـول: هل من سائل فأعطيه؟ هل من داع فأستجيب له؟ هل من مستغفر فأغفر له؟».

وكان عـبد الله بن عمر يصلى من الليـل ثم يقول: يانافع هل جاء السحـر؟ فإذا قال نعم، أقبل على الدعاء والاستغفار حتى يصبح.

دعاء امرأة عمران أم مريم البتول[1]

﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٥) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾[2].

امرأة عمران هي (حنة) بنت فاقوذ زوج عمران بن ياشم الذي ينتهي نسبه إلى سليمان بن داود عليهما السلام[3].

يقول ابن إسحق عن امرأة عمران: إنها كانت امرأة لا تحمل، فرأت يوما طائرا يزق[4] فرخه فاشتهت الولد، فدعت الله أن يهبها ولدا فاستجاب الله دعاءها، وحملت من زوجها عمران، ولما تحققت من الحمل دعت بهذا الدعاء، وولدت مريم البتول أم عيسى ـ عليه السلام ـ فاتجهت إلى الله تعوذها وذريتها من شر الشيطان.

المعنى:

رب إني نذرت لك ما في بطني محررا أي خالصا مفرغا للعبادة ولخدمة بيتك ـ بيت المقدس ـ فتقبل مني نذري إنك أنت السميع لدعائي، العليم بنيتي.

ولم تكن تعلم ما في بطنها أذكرا أم أنثى، فلما وضعت، قالت: معذرة يارب إني وضعتها أنثى ـ والله أعلم بما وضعت ـ وليس الذَّكَر الذي طلبت كالأنثى التي وهبت، فهي لا تصلح لخدمة بيتك لضعفها، وعورتها، وما يعتريها من الحيض وغيره، وإني سميتها مريم، وإني عوذتها، وحصنتها، وذريتها بك من الشيطان الرجيم.

---

(١) لقبت بذلك لأنها كانت منقطعة للعبادة، متفرغة لها. والتبتل هو التفرغ للعبادة. المصباح مادة: بتل.

(٢) آل عمران الآيتان: ٣٥ ، ٣٦.

(٣) انظر ابن كثير والكشاف.

(٤) يزق الطائر فرخه: يطعمه بفيه.

وهكذا تضرعت امرأة عمران إلى الله أن يتقبل ما فى بطنها نذرا خالصا لعبادة الله، ولخدمة بيته، فلما وضعت ما فى بطنها أنثى، عوذتها بالله وسألته أن يحفظها وذريتها من الشيطان الرجيم.

فالدعاء ذو شقين: دعاء بعد الحمل، ودعاء بعد الولادة، وقد استجاب الله دعاءها كله، حيث تقبل نذرها بقبول حسن كما قال تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾.

وحصنها وابنها عيسى ـ عليه السلام ـ من شر الشيطان، كما ورد فى الحديث الشريف عن أبى هريرة ـ ﷺ ـ عن النبى ﷺ «ما من مولود يولد إلا مسه الشيطان حين يولد، فيستهل صارخا من مسه إياه، إلا مريم وابنها»[1].

موقع الدعاء :

هذا الدعاء جاء بعد الحديث عن اصطفاء الله لآدم ـ عليه السلام ـ أبى البشر، الذى خلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وعلمه أسماء كل شيء، ونوح ـ عليه السلام ـ أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض لما عبد الناس الأوثان، وأشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا، واصطفائه لآل إبراهيم ـ عليه السلام ـ ومنهم سيد البشر وخاتم الأنبياء محمد ﷺ، واصطفائه لآل عمران، ومنهم مريم وابنها عيسى. ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

ولقد ذكر السياق آدم ونوحا فردين، وذكر آل إبراهيم وآل عمران أسرتين، إشارة إلى أن آدم بشخصه، ونوحًا بشخصه، هما اللذان وقع عليهما الاصطفاء، فأما إبراهيم وعمران فكان الاصطفاء لهما ولذريتهما كذلك.

---

(١) الحديث في تفسير ابن كثير عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة.

وبعض الروايات تذكر أن عمران من آل إبراهيم، فذكر آل عمران إذن تخصيص لهذا الفرع لمناسبة خاصة، هى عرض قصة مريم وقصة عيسى ـ عليه السلام ـ والتى بدأت بحمل امرأة عمران ودعائها الذى عرضناه[1].

من آداب هذا الدعاء :

أنه ينم عن الخشوع التام لله، والتوجه إليه كلية، والتحرر من كل شىء إلا من ابتغاء قبوله ورضاه، فهى تدعو الله أن يتقبل منها نذرها ـ وهو فلذة كبدها ـ محررا، خالصا، مفرغا لعبادة الله، وخدمة بيته.

تدعو بخشوع تام، وبنية خالصة، وتشهد الله على تمام خشوعها وصدق نيتها ﴿إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

لقد كانت تنتظر ولدا ذكرا، فالنذر للمعابد لم يكن معروفا إلا للصبيان، ليخدموا الهيكل، وينقطعوا للعبادة والتبتل، ولكن ها هى ذى تجدها أنثى، فتوجه إلى ربها فى نغمة أسيفة: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ وتتجه إلى ربها بما وجدت، وبما وهب لها كأنها تعتذر أن لم يكن لها ولد ذكر ينهض بالمهمة ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ﴾، ولا تنهض الأنثى بما ينهض به الذكر فى هذا المجال: ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾.

يقول الشهيد سيد قطب: وهذا الحديث على هذا النحو فيه شكل المناجاة القريبة، مناجاة من يشعر أنه منفرد بربه، يحدثه بما فى نفسه، وبما بين يديه، ويقدم له ما يملك تقديماً مباشراً لطيفاً، وهى الحال التى يكون فيها هؤلاء العباد المختارون مع ربهم، حال الود والقرب والمباشرة، والمناجاة البسيطة العبارة التى لا تكلف فيها ولا تعقيد، مناجاة من يحس أنه يناجى قريبًا ودودًا سميعًا مجيبًا.

(١) سيد قطب. في ظلال القرآن.

﴿ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾. وهى الكلمة الأخيرة حيث تودع الأم هديتها بين يدى ربها، وتدعها لحمايته ورعايته، وتعيذها به هى وذريتها من الشيطان الرجيم.

وهذه كذلك كلمة القلب الخالص، ورغبة القلب الخالص، فما تود لوليدتها خيرا من أن تكون فى حياطة الله من الشيطان الرجيم.

﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾.

جزاء هذا الإخلاص الذى يعمر قلب الأم، وهذا التجرد الكامل فى النذر، وإعدادا لها لتستقبل نفخة الروح، وكلمة الله، وأن تلد عيسى ـ عليه السلام ـ على غير مثال من ولادة البشر.

****

من دعاء زكريا عليه السلام

﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾[1].

المعنى :

رب هب لي - فأنت الوهاب - من عندك ولدا صالحا، فخزائن رحمتك لا تنضب وبحر جودك زاخر بالعطاء، تعطي من تشاء بلا أسباب وما رأيته من رزق عند مريم يطمعني في عطائك، على الرغم مما اعتراني من ضعف وشيب، وما أصاب زوجتي من كبر وعقم - هب لي يارب من لدنك ولدا صالحا، إنك سميع الدعاء.

موقع الدعاء :

الدعاء جزء من الآية (٣٨) من سورة آل عمران، وقد سبقه الحديث عن مريم البتول، وكيف تقبّلها ربها بقبول حسن، وأنبتها نباتا حسنا، وقرنها بالصالحين من عباده، تتعلم منهم العلم والخير والدين، فجعل زكريا - عليه السلام - زوج خالتها كافلا لها ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾، وكان زكريا كلما دخل عليها محل عبادتها، وجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء، هنالك طمع زكريا في عطاء ربه الذي قد يعطي بغير أسباب، وتوجه إلى ربه بهذا الدعاء. قال تعالى: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٧) هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾.

فاستجاب الله دعاء هذا النبي الطاهر، وبشرته الملائكة وهو في محرابه يصلي بمولود سمّاه ربه قبل أن يخلق وجعله سيدا وحصورا ونبيا من الصالحين.

---

(١) آل عمران الآية: ٣٨ .

قال تعالى: ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾.

من آداب هذا الدعاء :

أنك تحس فيه حرارة الإيمان والثقة فيما عند الله، في قوله تعالى: ﴿مِن لَّدُنكَ﴾ وفي قوله: ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ كما أنه لا يطلب الولد لغرض أرضي، ليرث مالا، أو يحمل اسما، أو يكون امتدادًا لسلطان دنيوي، وإنما يطلب الولد الصالح الذي يعبد ربه، ويرث الصلاح والتقوى، ويحمل رسالة التوحيد ويكون ربانيًا يهدي الناس إلى طريق الله، كما جاء في موقع آخر: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾.

****

دعاء الحواريين

﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾[1].

الحواريون :

هم أصفياء عيسى عليه السلام، وأول من آمن به، وكانوا إثنى عشر رجلا، وسموا بالحواريين إما لبياض ثيابهم، أو لأنهم كانوا قصارين يبيضون الثياب، أو لأنهم خاصة الأنبياء، وسموا بذلك لنقاء قلوبهم، وأصل الحور شدة البياض، وقيل الحوارى الناصر. قال النبى ﷺ : «الزبير بن العوام ابن عمتى وحوارى من أمتى»[2].

المعنى :

ربنا آمنا بالكتاب الذى أنزلت، واتبعنا الرسول الذى أرسلت، فاكتبنا مع الشاهدين[3] لك بالوحدانية، ولرسولك بالصدق، اجعلنا ياربنا فى زمرتهم، وصل ما بيننا بينهم بالإخلاص على التقوى، وأثبت أسماءنا مع أسمائهم لننال ما نالوا من الكرامة.

موقع الدعاء :

لما أحس عيسى الكفر من بنى إسرائيل، وأرادوا قتله، استنصر لدين الله، فاستجاب له الحواريون، وقالوا نحن أنصار الله وأعوان دينه، وأسلموا وجههم لله، وأشهدوا عيسى عليه السلام على إسلامهم، ودعوا بهذا الدعاء.

---

(١) آل عمران الآية: ٥٣ .

(٢) راجع المختار مادة (ح و ر).

(٣) والشهادة منزلة عظيمة ترفع صاحبها إلى مصاف الملائكة وأولي العلم. قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ﴾.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾.

من آداب هذا الدعاء:

إنهم قدموا بين يدى دعائهم بالإقرار بالإيمان والتصديق بما أنزل الله من كتاب، وبما أرسل من رسول، كما أن دعائهم ينم عن خشوع وتواضع، حيث قالوا: ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ ولم يقولوا: فاكتبنا من الشاهدين، فهم يرجون اللحاق بالشاهدين ليكونوا فى معيتهم وفى ركابهم.

****

دعاء الربيين من أتباع النبيين

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾(١).

الربيون:

جمع ربى وهو العالم بربه، منسوب إلى الرب كالرباني ـ وكسر الراء من تغييرات النسب ـ أو منسوب إلى الربة وهى الجماعة(٢).

ولقد سميته ـ دعاء الربيين ـ لأن القرآن الكريم حكاه على لسان الربيين الذين قاتلوا مع الأنبياء، كما سيأتى بيانه.

المعنى :

ربنا اغفر لنا ذنوبنا، فلا تفضحنا بها بين عبادك، واغفر لنا تفريطنا فى جنبك، ثبت أقدامنا فى مواطن القتال بالتقوى والتأييد من عندك، وانصرنا على الكافرين الذين عبدوا غيرك، وأشركوا معك عبادك، حتى تستقيم الأرض لمنهجك وتنسجم حركة الإنسان مع الكون المسبح بحمدك.

موقع الدعاء :

بعد أن ساقت الآيات الدروس المستفادة من غزوة أحد، ومنها تمحيص المؤمنين، وتمييز المجاهدين الصابرين، سجلت ما كان من المؤمنين حين أشاع الكفار فى المعركة أن محمدا ﷺ قد قتل، وما أصاب المؤمنين من هلع، ويأتى الدرس على لسان القرآن الكريم: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾.

---

(١) آل عمران الآية: ١٤٧ .

(٢) صفوة البيان لمعاني القرآن حسنين مخلوف ط وزارة الأوقاف الكويتية ص ٧٩ .

إن الفرار من المعركة لن يؤخر أجلا، وإن الثبات فى المعركة لن يعجل أجلا، فما كان لنفس أن تموت حتى تستوفى أجلها. ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلاً وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِى الشَّاكِرِينَ﴾ ثم يضرب الله المثل للمسلمين من إخوانهم المؤمنين قبلهم.

فتبين الآيات أن كثيرا من الأنبياء خاضوا معارك ضد الكفر والباطل، وقاتل معهم ﴿رِبِّيُّونَ﴾ كثير، فثبتوا وصبروا، ولم يضعفوا، ولم يستكينوا ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾.

ثم كان منهم هذا الدعاء: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِى أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾.

فكانوا من المحسنين الذين أحبهم ربهم، فنالوا بمحبته عز الدنيا ونعيم الآخرة: ﴿فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾.

من آداب هذا الدعاء :

أنه جاء مصاحبا لطاعة هى ذروة سنام الطاعات، وهى الجهاد فى سبيل الله ومع صبر على مجالدة العدو، لم يتطرق إليه وهن أو استكانة، إن الهول لم يذهل نفوسهم عن التوجه إلى الله، لا لتطلب النصر أول ما تطلب ـ وهو ما يتبادر عادة إلى النفوس ـ ولكن لتطلب العفو والمغفرة، ولتعترف بالذنب والخطيئة قبل أن تطلب الثبات والنصر على الأعداء.

يقول الشهيد سيد قطب: إنهم لم يطلبوا نعمة ولا ثراء، بل لم يطلبوا ثوابا ولا جزاء، لم يطلبوا ثواب الدنيا ولا ثواب الآخرة، لقد كانوا أكثر أدبا مع الله، وهم يتوجهون إليه، بينما هم يقاتلون فى سبيله، فلم يطلبوا منه سبحانه إلا غفران الذنب،

وتثبيت الأقدام، والنصر على الكفار، فحتى النصر لا يطلبونه لأنفسهم، إنما يطلبونه هزيمة للكفر وعقوبة للكافر.. إنه الأدب اللائق فى حق الله الكريم.

وهؤلاء الذين لم يطلبوا لأنفسهم شيئا، أعطاهم الله من عنده كل شىء، أعطاهم من عنده كل ما يتمناه طلاب الدنيا وزيادة، وأعطاهم كذلك كل ما يتمناه طلاب الآخرة ويرجونه.

﴿فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ ﴾ وشهد لهم ـ سبحانه ـ بالإحسان، فقد أحسنوا الأدب مع الله، وأحسنوا الجهاد فى سبيله، وأعلن الله حبه لهم، وهو أكبر من النعمة وأكبر من الثواب.

﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾[1].

****

(١) في ظلال القرآن . سيد قطب. دار الشروق. جـ١ ص: ٤٨٨ .

دعاء المؤمنين

فى مواجهة قوى الشر والطغيان

﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾(١).

المناسبة :

لما رجع الرسول ﷺ من غزوة أحد إلى المدينة أصبح حذرا من رجوع المشركين إلى المدينة ليتمموا انتصارهم، فنادى فى أصحابه بالخروج خلف العدو، وأن لا يخرج إلا من كان معه بالأمس، فاستجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح، فضمدوا جراحهم، وخرجوا واللواء معقود لم يحل، فأعطاه على بن أبى طالب، وولى على المدينة ابن أم مكتوم، ثم سار بالجيش حتى وصلوا حمراء الأسد(٢)، وقد كان ما ظنه الرسول ﷺ حقا، فإن المشركين تلاوموا على ترك المسلمين من غير شن لغارة على المدينة، حتى يتم لهم النصر، فأصروا على الرجوع، ولكن لما بلغهم خروج الرسول فى إثرهم ظنوا أنه قد حضر معه من لم يحضر بالأمس وألقى الله الرعب فى قلوبهم، فتمادوا فى سيرهم إلى مكة(٣).

وقد حاول بعض المنافقين أن يخوفوا المؤمنين من جموع المشركين، وأن يثبطوا من عزيمتهم، ولكن المؤمنين قالوا: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾.

المعنى :

الله يكفينا ويدرأ عنا شر ما أهمنا وغمنا، ويدفع عنا كيد عدونا، فهو نعم من نتوكل عليه، ومن نكل أمرنا إليه.

---

(١) في ظلال القرآن . سيد قطب. دار الشروق. جـ١ ص: ٤٨٨ .

(١) آل عمران الآية: ١٧٣ .

(٢) موضع على بعد ثمانية أميال من المدينة.

موقع الدعاء :

الدعاء جزء من الآية (١٧٣) من سورة آل عمران. وقد جاء في سياق الحديث عن غزوة أحد، وعن الشهداء وما نالوه من فضل الله، وما أسبغ عليهم من رضوانه، وعن خروج المؤمنين واستجابتهم لله ولرسوله حين دعاهم للخروج في اليوم التالي لأحد على الرغم مما أصابهم، ولقد حاول المرجفون والمنافقون أن يخوفهم من جموع المشركين، ولكنهم توجهوا إلى الله بهذا الدعاء.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٢) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾.

فاستجاب الله لهذه النفثة الحرى، وهذا التوجه العظيم وألقى الرعب في قلوب أعدائهم، ورجعوا إلى مدينتهم سالمين غانمين.

يقول ابن كثير رحمه الله: لما توكلوا على الله كفاهم ما أهمهم، ورد عنهم بأس من أراد كيدهم، فرجعوا إلى بلدهم بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء مما أضمر لهم عدوهم.

ولهذا قال الله تعالى في أعقاب الدعاء: ﴿فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾.

من آداب هذا الدعاء :

إنه جاء تعبير عن إيمان عميق، وتفويض كامل لله، وبأسلوب خبري تقريري، كما أن فيه ثناء على الله وعلى اسم من أسمائه الحسنى (الوكيل) بأسلوب المدح المعروف (نعم الوكيل).

ما جاء فى فضل هذا الدعاء:

ما رواه البخارى عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقى فى النار، وقالها محمد ﷺ وأصحابه حين قال لهم الناس: إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل.

وقد روى النسائى وأبو داود أن النبى ﷺ: قال بين رجلين فقال المقضى عليه لما أدبر حسبى الله ونعم الوكيل، فقال الرسول ﷺ: «ردوا على الرجل» فقال: «ما قلت؟ قال: قلت: حسبى الله ونعم الوكيل. فقال النبى ﷺ: «إن الله يلوم على العجز، ولكن عليك بالكيس فإذا غلبك أمر فقل: حسبى الله ونعم الوكيل».

وقد روى عن أمى المؤمنين زينب وعائشة - رضي الله عنهما - أنهما تفاخرتا، فقالت زينب: زوجنى[1] الله وزوجكن أهاليكن، وقالت عائشة: نزلت براءتى من السماء فى القرآن، فسلمت لها زينب، ثم قالت: كيف قلت حين ركبت راحلة صفوان بن المعطل؟ قالت: قلت حسبى الله ونعم الوكيل، قالت زينب: قلت كلمة المؤمنين.

****

(٣) راجع تفسير ا بن كثير.

دعاء أولى الألباب

﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١) رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (١٩٢) رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ (١٩٣) رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾(١).

أولو الألباب :

هم ذوو العقول التامة الزكية التى تدرك الأشياء بحقائقها على جلياتها، وهم الذين يتأملون عجائب خلق السموات والأرض، وما فيها من آيات قدرة الله ووحدانيته، فتلهج ألسنتهم بذكر الله وتسبيحه، ويتجهون إلى ربهم بهذا الدعاء.

المعنى :

ربنا ماخلقت السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق، ما خلقت هذا الخلق عبثا، فأنت المنزه عن العبث، ولكنك خلقته دليلا على كمال قدرتك، وعظيم حكمتك، فقنا عذاب النار التى أعددتها لمن يجحد خلقك، أو ينكر وحدانيتك.

- ربنا إنك من أدخلته النار فقد أهنته جزاء وفاقا على كفره وظلمه، ولن يجد هؤلاء الظالمو من يمنعونهم من عذابك أو يدفعون عنهم عقابك.

- ربنا إننا سمعنا رسولنا محمدا ﷺ ينادينا للإيمان بك، فاستجبنا وآمنا، فاغفر لنا ذنوبنا، وحط عنا سيئاتنا، واقبض أرواحنا فى جملة الأنبياء الصالحين من عبادك.

- ربنا نسألك أن تجعلنا فى جملة من وعدتهم بالرحمة والفضل على لسان رسلك، ولا تخزنا يوم القيامة على رؤوس الأشهاد يوم لا ملجأ منك إلا إليك ولا

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾.

منجاة من عذابك إلا برحمتك. ربنا دعوناك كما أمرتنا، فاستجب لنا كما وعدتنا.

موقع الدعاء :

الدعــاء جـزء من الآية (١٩١) والآيات (١٩٢ ـ ١٩٣ ـ ١٩٤) مـن سـورة آل عـمران، وقـد سمـيتـه دعاء أولي الألـباب، لأنه جـاء في معـرض وصف الله لأولي الألباب الذيـن يرون في خلق السمـوات والأرض، واختلاف الليـل والنهار دلالات على قدرة الله ووحـدانيته، والذين يذكرون الله في كل أحـوالهم، ويتفكرون في خلق السموات والأرض، فتلهج ألسنتهم بالحمد والثناء لله الواحد القادر، وينزهون الله عن كل عيب وعبث، ويتوجهون إلى الله بهذا الدعاء.

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١) رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (١٩٢) رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ (١٩٣) رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾.

ولما علم الله صـدق إيمانهم، وإخـلاص توجـههم، اسـتجـاب دعاءهم، وتقـبل عملهم، وهجـرتهم، وجهادهم، وأثابهم فـوق ما طلبوا من الوقـاية من عذاب النار، ومغفرة الذنوب، وتكفير السيـئات ... أثابهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ثوابا من عنده، والله عنده حسن الثواب.

﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴾.

من آداب هذا الدعاء :

أنه مسبوق بذكر الله فى كل حال من قيام وقعود واضطجاع، كما أنه مسبوق بالتفكير فى خلق السموات والأرض وتسبيح الله وتنزيهه.

من آداب هذا الدعاء تكرار النداء (ربنا) والذى يدل على المبالغة فى التضرع إلى الله.

ومنه شدة الوجل والخوف من الله ويظهر ذلك فى طلبهم ﴿ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ ﴾ فهم يعلمون أن وعد الله لا يتخلف، ولكنهم يدعونه أن يجعلهم من مستحقيه لأنهم لا يتيقنون استحقاقهم له، لفرط تواضعهم وخوفهم من ربهم.

ما جاء فى فضل هذا الدعاء :

يقول ابن كثير: وقد ثبت أن رسول الله ﷺ كان يقرأ هذه الآيات العشر من آخر آل عمران إذا قام من الليل لتهجده، فقال البخارى رحمه الله ... عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «بت عند خالتى ميمونة فتحدث رسول الله ﷺ مع أهله ساعة ثم رقد فلما كان ثلث الليل الآخر قعد فنظر إلى السماء فقال: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِى الأَلْبَابِ﴾ الآيات ثم قام فتوضأ واستن ثم صلى إحدى عشرة ركعة ثم أذن بلال فصلى ركعتين ثم خرج فصلى بالناس الصبح» وهكذا رواه مسلم برواية أخرى.

★★★★

من دعاء موسى عليه السلام

﴿ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾(١)

المعنى :

رب إنى لا أملك إلا نفسى وأخى، فليس أحد من قومى يطيعنى فيمتثل أمر الله، ويجيب ما دعوت إلا أنا وأخى هارون، فاقض اللهم وافصل بيننا وبين هؤلاء الخالفين لأمرك الخارجين عن طاعتك.

موقع الدعاء :

هذا الدعاء من الآية (٢٥) من سورة المائدة، جاء هذا الدعاء على لسان كليم الله موسى عليه السلام، يدعو الله أن يفتح ويفاصل بينه وبين بنى إسرائيل بعد أن نكصوا على أعقابهم، ونكلوا عن تنفيذ أمر الله لهم بدخول الأرض المقدسة ومقاتلة الجبارين، حيث ضعفت نفوسهم عن مصابرة الأعداء ومجالدتهم ومقاتلتهم مع أن بين أظهرهم رسول الله موسى عليه السلام، وهو يعدهم بالنصر والظفر على أعدائهم، هذا مع ما شاهدوه من فعل الله بعدوهم فرعون، وما رأوه من آيات الله فى البر والبحر، ومن آلاء الله ونعمه التى أسبغها عليهم، ولكنها جبلة يهود.. الجبن، والتمحل، والنكوص على الأعقاب، ونقض العهود.

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ (٢٠) يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ (٢١) قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ (٢٢) قَالَ رَجُلانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا

(١) آل عمران الآيات: ١٩١، ١٩٤ .

دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾.

ومع كل هذه الوعود بالغلبة والنصر، تبلغ بهم الوقاحة أن يقولوا لموسى: ﴿ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ وفى نهاية المطاف بموسى عليه السلام ونهاية الجهد الجهيد، والسفر الطويل، واحتمال الرذالات والانحرافات والالتواءات من بنى إسرائيل، يتجه إلى الله بهذا الدعاء ﴿ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾. واستجاب الله لنبيهم وقضى بالجزاء العادل على الفاسقين. ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾. وهكذا أسلمهم الله وهم على أبواب الأرض المقدسة ـ للتيه، وحرم عليهم الأرض التى كتبها لهم.. والأرجح أنه حرمها على هذا الجبل منهم حتى تنبت نابتة جديدة، وحتى ينشأ جيل غير هذا الجيل الذى أفسده الذل والاستعباد والطغيان فى مصر ـ فلم يعد يصلح لهذا الأمر الجليل.

من آداب هذا الدعاء :

أنه لم يأت من رسول الله ـ موسى عليه السلام ـ إلا فى نهاية المطاف، وبعد أن احتمل ما احتمل من وقاحة بنى إسرائيل وانحرافاتهم، وبعد أن وجد أنه لا سبيل إلى حملهم على تنفيذ أوامر الله، حيث فسدت فطرهم، وطمس على قلوبهم، إن دعوة الكليم ـ كما يقول صاحب الظلال ـ فيها الألم، وفيها الالتجاء، وفيها الاستسلام وفيها ـ بعد ذلك ـ المفاصلة والحسم والتصميم.

بعض ما جاء فى فضل هذا الدعاء :

هذا الدعاء هو الذى أنار للمسلمين من أتباع محمد ﷺ بصيرتهم.. لقد وعوا الدرس حين واجهوا الشدة وهم قلة أمام نفير قريش فى غزوة بدر، قالوا لنبيهم ﷺ إذن لا نقول لك يارسول الله ما قاله بنو إسرائيل لنبيهم: ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ لكن نقول: اذهب أنت وربك فقاتلا فإنا معكما مقاتلون.

من دعاء عيسى عليه السلام

﴿اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾[1].

المعنى :

اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء، نتخذ يوم نزولها عيدا نعظمه ونشرفه، هذا العيد يكون لنا ولمن يأتى بعدنا، ودليلا تنصبه على قدرتك، وعلى إجابتك لدعوتى فيصدقونى فيما أبلغه عنك، وارزقنا من عندك رزقا هنيئا بلا تكلفة ولا تعب، وأنت خير الرزاقين.

موقع الدعاء :

طلب الحواريون وهم أتباع عيسى ـ عليه السلام ـ أن يسأل ربه أن ينزل عليهم مائدة من السماء، وذكر بعضهم ـ كما يقول ابن كثير ـ أنهم إنما سألوا ذلك لحاجتهم وفقرهم، فسألوا أن ينزل عليهم مائدة كل يوم يقتاتون منها ويتقوون على العبادة، فأجابهم المسيح ـ عليه السلام ـ قائلا: اتقوا الله ولا تسألوا هذا فعساه أن يكون فتنة لكم، وتوكلوا على الله فى طلب الرزق إن كنتم مؤمنين، فقالوا: نحن محتاجون إلى الأكل منها، وتطمئن قلوبنا إذا شاهدنا نزولها رزقا لنا من السماء، ونزداد إيمانا بك، وعلما برسالتك، ونشهد أنها من عند الله ودلالة وحجة على نبوتك وصدق ما جئت به.

﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ فلما أصروا على طلب هذه الآية، توجه عيسى عليه السلام، بهذا الدعاء، فأجابه الله بقوله: ﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾.

جاء فى ابن كثير: فلما رأى عيسى أن قد أبوا إلا أن يدعو لهم بها، قام فألقى عنه الصوف، ولبس الشعر الأسود، وجبة من شعر، وعباءة من شعر، ثم توضأ واغتسل، ودخل مصلاه، فصلى ما شاء الله، فلما قضى صلاته قام قائما مستقبل القبلة وصف قدميه حتى استويا فألصق الكعب بالكعب وحاذى الأصابع، ووضع يده اليمنى على اليسرى فوق صدره، وغض بصره، وطأطأ رأسه خشوعا، ثم أرسل عينيه بالبكاء فما زالت دموعه تسيل على خديه وتقطر من أطراف لحيته، حتى ابتلت الأرض حيال وجهه من خشوعه، فلما رأى ذلك دعا الله فقال اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء، فأنزل الله عليهم سفرة حمراء بين غمامتين، غمامة فوقها وغمامة تحتها، وهم ينظرون إليها فى الهواء منقضة فى فلك السماء تهوى إليهم، وعيسى يبكى خوفا من أجل الشروط التى أخذها الله عليهم فيها: أنه يعذب من يكفر بها منهم بعد نزولها عذابا لم يعذبه أحدا من العالمين، وهو يدعو الله فى مكانه ويقول: اللهم اجعلها رحمة لهم، ولا تجعلها عذابا، إلهى كم من عجيبة سألتك فأعطيتنى، إلهى اجعلنا لك شاكرين، اللهم إنى أعوذ بك أن تكون أنزلتها غضبا ورجزا، إلهى اجعلها سلامة وعافية، ولا تجعلها فتنة ومثلة، فما زال يدعو حتى استقرت السفرة بين يدى عيسى، والحواريون وأصحابه حوله يجدون رائحة طيبة لم يجدوا فيما مضى رائحة مثلها قط، وخرّ عيسى والحواريون لله سُجّدًا شكرا له لما رزقهم من حيث لم يحتسبوا، وأراهم فيه آية عظيمة ذات عجب وعبرة.

من آداب هذا الدعاء:

يقول الدكتور شعبان محمد إسماعيل ـ على هامش الجلالين: حين أبدوا هذه الأمور ـ يقصد الحواريين ـ قام عيسى واغتسل، ولبس المسح، وصلى ركعتين فطأطأ رأسه وغض بصره، وقال: اللهم ربنا ... إلخ، هذه الآداب لا تخص عيسى ـ عليه السلام ـ بل ينبغى لكل داعٍ فعلها، لأن إظهار الذل والفاقة فى الدعاء من أسباب الإجابة أ هـ .

ويقول صاحب الظلال: وفى دعاء عيسى ـ عليه السلام ـ أدب العبد المجتبى مع إلهه، ومعرفته بربه، فهو يناديه: ياألله. ياربنا. إنى أدعوك أن تنزل علينا مائدة من السماء تعمنا بالخير والفرحة كالعيد، فتكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا، وأن هذا من رزقك فارزقنا وأنت خير الرازقين... فهو إذن يعرف أنه عبد، وأن الله ربه، وهذا الاعتراف يعرض على مشهد من العالمين، فى مواجهة قومه، يوم المشهد العظيم.

واستجاب الله دعاء عبده الصالح عيسى ابن مريم، ولكن بالحد اللائق بجلاله سبحانه... لقد طلبوا خارقة، واستجاب الله، على أن يعذب من يكفر منهم بعد هذه الخارقة عذابا بالغا فى شدته لا يعذبه أحدا من العالمين.

فهذا هو الحد اللائق بجلال الله، حتى لا يصبح طلب الخوارق تسلية ولهوا وحتى لا يمضى الذين يكفرون بعد البرهان المفحم دون جزاء رادع.

وقد مضت سنة الله من قبل بهلاك من يكذبون بالرسل بعد المعجزة، فأما هنا فإن النص يحتمل أن يكون هذا العذاب فى الدنيا، أو أن يكون فى الآخرة أ هـ.

****

دعاء آدم وحواء عليهما السلام

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾(١)

المعنى :

ياربنا ظلمنا أنفسنا بمخالفة أمرك، والإصغاء إلى وسوسة الشيطان وخداعه، وقد عرفنا ضعفنا وعجزنا عن التزام عزائم الطاعات، فنحن محتاجون إلى مغفرتك ورحمتك، فإن لم تغفر ذنوبنا، وتستر عيوبنا، وترحمنا بهدايتك لنا، وتوفيقك إيانا إلى ترك الظلم، والاعتصام من الجهل بالعلم، ومن الجهالة بالحلم، وبقبولنا إذا نحن تبنا إليك، وبإعطائنا من فضلك فوق ما نستحق بعد ذلك: لنكونن من الخاسرين فى الدنيا والآخرة.

موقع الدعاء :

هذا الدعاء جزء من الآية (٢٣) من سورة الأعراف، وقد أوردناه هنا لأن الله تعالى أشار إليه فى سورة البقرة فى قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾.

قال المفسرون :

الكلمات التى تلقاها آدم من ربه أى قبلها وأخذها هى هذا الدعاء. أهـ.

والدعاء جاء فى سياق قصة آدم فى سورة الأعراف، وقد سبقته آيات تتحدث عن إسكان آدم وزوجته الجنة، ونهى الله لهما عن الأكل من شجرة أشار الله إليها، وعن وسوسة الشيطان وخداعه لهما حيث غرّهما بالحلف بالله أنه لهما من الناصحين، وما كان آدم يعتقد أن أحدا من خلق الله يمكن أن يحلف بالله كذبا، وتحدثت الآيات عما حدث بعد أن ذاقا الشجرة من ظهور السوءة، وعتاب الله

(١) الأعراف الآية: ٢٣ .

وتوبيخه لهما: ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ وكان منهما هذا الدعاء: ﴿قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ثم أمرهما ربهما بالهبوط، مما يدل على أن الدعاء كان قبل الهبوط إلى الأرض.

من آداب هذا الدعاء:

أنه متضمن اعترافا بالخطأ والمخالفة ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾، والاعتراف بالخطأ، والإقرار بالذنب أولى خطوات التوبة إلى الله.

ولم يكونا يعلمان عند الأكل من الشجرة أن ما فعلاه معصية وكما يقول الماوردى فى تفسيره - لأن إقدامهما عليهما مع العلم أنها معصية يجعلها كبيرة، والأنبياء معصومون من الكبائر، وإنما أقدما عليها لشبهة دخلت عليهما من الغرور ﴿فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ﴾.

ومع ذلك نجد منهما غاية الخضوع والتذلل، والخوف من الخسران إن لم تشملهما رحمة الله ومغفرته.

ويعلق صاحب الكشاف فيقول: قالا: ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ على عادة الأولياء والصالحين فى استعظامهم الصغير من السيئات واستصغارهم العظيم من الحسنات.

ويقول - صاحب الظلال - رحمه الله - تعقيبا على هذا الدعاء:

إنها خصيصة الإنسان التى تصله بربه، وتفتح له الأبواب إليه.. الاعتراف والندم، والاستغفار، والشعور بالضعف، والاستعانة بالله وطلب رحمته، مع اليقين بأنه لا حول له ولا قوة إلا بعون الله ورحمته... وإلا كان من الخاسرين.

****

من دعاء شعيب ـ عليه السلام

﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾(١).

شعيب عليه السلام: أرسله الله إلى مدين، وقد جاء ذكره فى القرآن الكريم إحدى عشرة مرة، ويقال له خطيب الأنبياء لفصاحة عبارته وجزالة موعظته(٢) (ومدين) تطلق على القبيلة وعلى المدينة وهى التى بقرب (معان) من طريق الحجاز، والتى جاء ذكرها فى قصة موسى عليه السلام: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾(٣)، ويقال لمدين أيضاً: أصحاب الأيكة.

معنى الدعاء :

ربنا احكم وافصل بيننا وبين قومنا بالحق، وانصرنا عليهم، وأنت خير الحاكمين وخير العادلين الذى لا يجوز أبدا.

موقع الدعاء :

لم يدع شعيب عليه السلام بهذا الدعاء إلا بعد أن آمن بدعوته من آمن، وأصر على كفره وعناده من أصر، وحاول الملأ الذين استكبروا من قومه أن يفتنوا المؤمنين عن دينهم، كما عزموا على إخراج شعيب والذين آمنوا معه من قريتهم، فكان لابد من المفاصلة، وهنا يعلن شعيب توكله على الله، ويدعو بهذا الدعاء: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ

---

(١) الأعراف الآية: ٨٩ .
(٢) ابن كثير جـ٢ ص ٢٣٢ .
(٣) القصص الآية: ٢٣ .

وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (٨٦) وَإِن كَانَ طَائِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (٨٧) قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَ لَوْ كُنَّا كَارِهِينَ (٨٨) قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾. واستجاب الله دعاء نبيه شعيب ـ عليه السلام ـ، واجتمع على قومه عذاب يوم الظلة[١]، وهي سحابة أظلتهم فيها شرر من نار ولهب ووهج عظيم، ثم جاءتهم صيحة من السماء[٢]، ورجفة من الأرض شديدة من أسفل منهم[٣] فزهقت الأرواح، وفاضت النفوس، وخمدت الأجسام ﴿ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾.

من آداب هذا الدعاء:

أن شعيبا ـ عليه السلام ـ طلب من ربه الفتح والمفاصلة والحكم، ولم يقترح عذابا ولم يطلب عقابا، وأن الدعاء جاء بعد قوله: ﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾، وجاء مصحوبا بالثناء على الله بما هو أهله: ﴿وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾.

★★★★

(١) كما جاء في سورة الشعراء: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ ﴾ الآية (١٨٩).

(٢) كما جاء في سورة هود: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ الآية (٩٤).

(٣) كما جاء في سورة الأعراف: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ الآية (٩١).

دعاء المؤمنين من سحرة فرعون

﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾(١).

المعنى :

ربنا عمنا بالصبر على دينك، والثبات عليه، وفى مواجهة ما توعدنا به فرعون من تقطيع الأيدى والأرجل من خلاف، والتصليب فى جذوع النخل، وتوفنا خاضعين لك، على دين رسولك موسى عليه السلام.

موقع الدعاء :

الدعاء جزء من الآية (١٢٦) من سورة الأعراف، وجاء على لسان سحرة فرعون بعد أن أعلنوا إيمانهم، وخروا سجدا، لما رأوا معجزة عصا موسى التى ابتلعت حبالهم وعصيهم، وقد علموا أن ما شاهدوه لا يتأتى بالسحر، وتوعدهم فرعون بالتعذيب والتنكيل، ولكن ماذا يفعل الوعيد إذا خالطت بشاشة الإيمان القلوب.

لقد قالوا لفرعون: افعل ما تشاء فإننا إلى ربنا راجعون، ثم توجهوا إلى ربهم بهذا الدعاء يطلبون الصبر حتى يصمدوا أمام جبروت فرعون وطغيانه، وحتى لا يخضعوا لتهديده ووعيده، وأن يظلوا ثابتين على إيمانهم حتى يلقوا ربهم مسلمين.

وهكذا يكون دعاء المؤمنين فى مواجهة الطواغيت، وما يحاولون إنزاله بالمؤمنين من تعذيب وتنكيل.

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (١١٧) فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُون (١١٨) فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ (١١٩) وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (١٢٠) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢١) رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ (١٢٢) قَالَ فِرْعَوْنُ

(١) الأعراف الآية: ١٢٦ .

آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (١٢٣) لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلافٍ ثُمَّ لأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (١٢٤) قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ (١٢٥) وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾.

من آداب هذا الدعاء:

أنه مسبوق بتعبير عن الإيمان الذى يفرغ ولا يتزعزع، ولا يخضع ولا يخنع، الإيمان الذى يطمئن إلى النهاية فيرضاها. ﴿قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ وهم لإيمانهم هذا لا يرجون من عدو صفحًا أو عفوًا ولا يطلبون من خصمهم سلامة أو عافية وإنما يطلبون من ربهم الصبر على الفتنة، والوفاة على الإسلام[1] ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾.

****

(١) راجع في ظلال القرآن.

من دعاء موسى ـ عليه السلام

﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[1].

المعنى :

رب اغفر ما فعلت بأخي من غير ذنب مقرر ـ حيث استبان لي عذره واغفر لأخي إن كان قد فرط منه تقصير ما، في كف بني إسرائيل عما فعلوه من عبادة العجل، وأدخلنا في رحمتك بمزيد الإنعام بعد غفران ما سلف منا، وأنت أرحم الراحمين، فلا غرو في انتظامنا في سلك رحمتك الواسعة في الدنيا والآخرة[2].

موقع الدعاء :

هذا الدعاء من الآية (١٥١) من سورة الأعراف، جاء بعد أن أخبر الله تعالى موسى ـ عليه السلام ـ أن قومه قد ضلوا من بعده أضلهم السامري، وصنع لهم عجلا ذهبا له خوار، فاتخذوه إلها، فرجع موسى إليهم غضبان أسفًا، وطرح الألواح فيها التوراة من شدة الغضب، وأخذ بشعر رأس أخيه يجره إليه توهمًا أنه قصَّر في كفهم عن فعلتهم الشنيعة، ولكن هارون ـ عليه السلام ـ اعتذر فبين لأخيه أنه بذل جهده في كفهم حتى قهروه واستضعفوه وكادوا يقتلونه.

وقال له: فلا تفعل بي ما يكو سببًا لشماتتهم بي، ولا تعتقد أني واحد من الظالمين مع براءتي منهم، ومن ظلمهم، وهنا يتوجه موسى ـ عليه السلام ـ إلى ربه بهذا الدعاء.

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلا تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاءَ وَلا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

---

(١) الأعراف الآية: ١٥١ .

(٢) راجع تفسير أبي السعود.

وجـاء تعقـيب الله تعالى على هذا الدعـاء ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾.

من آداب هذا الدعاء :

أنه جاء من رسول الله موسى ـ عليه السلام ـ بعد أن غضب غضبة شديدة حمية للدين، وضجـر مما فعله قـومه بعـد كل الذى رأوا من الآيات على يديه، من نعم الله وإحسانه إليهم، وجاء الدعاء بعد مـا فعله وهو غاضب من أخيه ظناً منه أنه قصَّر فى كـفهم عـمـا ارتكبوا، وبـعد أن اعـتذر أخـوه هارون ـ عليـه السـلام ـ بكلام الحليم الشفيق، فنزلت كلمات هارون على صدر موسى بردا وسلاما، فسكت عنه الغضب، وتوجه إلى الله بهذا الدعـاء يطلب منه المغفرة والرحمة له ولأخـيه، ومن أدب الدعاء أنه ختمه بالثناء على الله بما هو أهله. ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

****

من دعاء موسى ـ عليه السلام

﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا[1] إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ (١٥٥) وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾[2].

اختار موسى سبعين رجلاً من قومه ممن لم يعبدوا العجل، وخرج بهم إلى طور سيناء للميقات الذى وقّته الله لهم، ليعتذروا من عبادة أصحابهم العجل، فلما سمعوا كلام الله طلبوا أن يريهم الله جهرة، فأخذتهم الرجفة، فأخذ موسى يتضرع إلى الله بهذا الدعاء.

المعنى :

رب لو شئت أهلكت هؤلاء من قبل، حين فرطوا فى النهى عن عبادة العجل، ولم يفارقوا عبادته حين شاهدوا إصرارهم عليها، ولو شئت لأهلكتنى معهم، فلا تهلكنا بما فعل السفهاء منا، إن الأمر إلا أمرك، وإن الحكم إلا لك، فما شئت كان، تضل من تشاء وتهدى من تشاء، لا هادى لمن أضللت، ولا مضل لمن هديت، ولا معطى لمن منعت، ولا مانع لمن أعطيت، فالملك لك، والحكم كله لك، لك الخلق والأمر. أنت ـ لا غيرك ـ حافظنا وناصرنا، والقائم بأمورنا الدنيوية والأخروية، فاغفر لنا ما قارفناه من المعاصى، وأفض علينا من آثار رحمتك فى الدنيا والآخرة، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

أوجب يارب وحقق وأثبت لنا فى هذه الدنيا ما تحمد عاقبته من الإيمان والمعرفة والعافية، وفى الآخرة اكتب لنا دخول جنتك وما احتوت عليه من اللقاء والمشاهدة، إنا تبنا وأنبنا ورجعنا إليك.

(١) الهمزة إما لإنكار وقوع الإهلاك ثقة بلطف الله تعالى ـ كما قال ابن الأنباري أو للاستعطاف كما قاله المبرد. راجع تفسير أبي السعود.

(٢) الأعراف الآيتان: ١٥٥، ١٥٦ .

موقع الدعاء :

الدعاء جزء من الآية (١٥٥) وجزء من الآية (١٥٦) من سورة الأعراف، وفى معرض قصة موسى ـ عليه السلام ـ مع قومه من بنى إسرائيل، ولقد عرفنا فى الدعاء السابق ما كان من قوم موسى واتخاذهم العجل، وما كان من موسى حين رجع إليهم، وما فعله مع أخيه هارون ـ عليه السلام ـ ثم عرضت القصة بعد ذلك أن موسى اختار من قومه سبعين رجلا ـ كما ذكرنا ـ لميقات ربه، ليعتذروا من فعلة قومهم، وليتوبوا إلى الله تعالى مما صنعوه، ويسألون التوبة على من تركوهم وراءهم من قومهم، وأمرهم موسى أن يصوموا، ويتطهروا، ويطهروا ثيابهم، وخرج بهم إلى طور سيناء، فلما دنوا من الجبل غشيه غمام، فدخل موسى بهم الغمام، وخرّوا سُجداً فسمعوه تعالى يكلم موسى يأمره وينهاه حسبما يشاء، وهو الأمر بقتل أنفسهم توبة، ولما انكشف الغمام أقبلوا إلى موسى ـ عليه السلام ـ وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة، أى لن نصدقك فى أن الآمر بما سمعنا من الأمر بقتل النفس توبة هو الله تعالى حتى نراه، فأخذتهم الرجفة أى الصاعقة أو رجفة الجبل فصعقوا منها أى ماتوا فحين رأى موسى تلك الحالة الهائلة توجه إلى ربه بهذا الدعاء[1].

﴿وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ (١٥٥) وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾.

---

(١) راجع تفسير أبي السعود.

من آداب هذا الدعاء :

١ ـ أن موسى ـ عليه السلام ـ قدم العفو اللاحق بذكر العفو السابق، فكأنه قال: لو شئت يارب إهلاكنا بذنوبنا السابقة لأهلكتنا، ولكنك عفوت عنا، فاغفر لنا وارحمنا كما غفرت ورحمت من قبل. يقول العلامة أبو السعود: أراد ـ عليه السلام ـ ذكر العفو السابق لاستجلاب العفو اللاحق، فإن الاعتراف بالذنب والشكر على النعمة مما يربط العتيد[1] ويستجلب المزيد.

٢ ـ أنه قدم لطلب المغفرة والرحمة بقوله: ﴿إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنتَ وَلِيُّنَا﴾ وختمه بالثناء على الله: ﴿ وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴾ وبقوله: ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾ يقول الشهيد سيد قطب: وهكذا قدم موسى ـ عليه السلام ـ لطلب المغفرة والرحمة، بالتسليم لله والاعتراف بحكمة ابتلائه، وختمه بالرجعة إلى الله والالتجاء إلى رحابه، فكان دعاؤه نموذجًا لأدب العبد الصالح فى حق الرب الكريم، ونموذجًا لأدب الدعاء فى البدء والختام[2].

★★★★

(١) الحاضر.
(٢) راجع في ظلال القرآن.



من دعاء المؤمنين

أتباع موسى عليه السلام

﴿ رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٨٥) وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾[١].

المعنى :

ربنا لا تسلط علينا القوم الظالمين فيفتنوا بنا، لأنك لو سلطتهم علينا لوقع فى قلوبهم أن لو كنا على الحق لما سلطهم الله علينا، فيصير ذلك شبهة قوية فى إصرارهم على كفرهم، فيصير تسلطهم وظهورهم علينا فتنة لهم[٢]، أو لا تسلطهم علينا فيفتنونا عن ديننا بتعذيبهم لنا، وخلصنا ربنا برحمة منك وإحسان من القوم الذين كفروا الحق وستروه، ونحن قد آمنا بك وتوكلنا عليك.

موقع الدعاء :

الدعاء جزء من الآية (٨٥) والآية (٨٦) من سورة يونس، وفى معرض الحديث عن قصة موسى - عليه السلام - وبعد الحديث عن واقعة السحرة حيث وقع الحق وبطل السحر، على كره من فرعون وملئه المجرمين، ثم ذكرت الآيات أنه ما آمن لموسى إلا طائفة من شباب بنى إسرائيل - وقيل من شباب قوم فرعون - على خوف من الطاغية وزبانيته، أن يفتنوهم عن دينهم، فقال لهم موسى - عليه السلام - إن كنتم آمنتم بالله حقا، فلا تخشوا فرعون، وتوكلوا على الله إن كنتم أسلمتم نفوسكم لله، فاستجاب المؤمنون لهتاف الإيمان على لسان نبيهم، وقالوا: ﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ ثم توجهوا إلى الله بهذا الدعاء.

---

(١) يونس الآيتان: ٨٥، ٨٦ .

(٢) ابن كثير. وتفسير أبي السعود.

﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

من آداب هذا الدعاء :

أنه جاء بعد الاستجابة لرسول الله موسى ـ عليه السلام ـ حين دعاهم إلى التوكل على الله، وبعد أن توكلوا على الله قولا وعملا، كما تظهر فى الدعاء ثقتهم المطلقة فى رحمة الله ... حيث قالوا: ﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ﴾.

★★★★

من دعاء يوسف عليه السلام

﴿ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴾(١).

المعنى :

رب السجن أحب إلىّ مما يدعوننى إليه من الفاحشة، وإن لم تصرف عنى بحولك وقوتك كيد هؤلاء النسوة أمل إليهن وأكن من المذنبين، فإنك يارب إن وكلتنى إلى نفسى فليس لى منها قدرة، ولا أملك لها ضرًا ولا نفعًا إلا بحولك وقوتك، أنت المستعان وعليك التكلان فلا تكلنى إلى نفسى حتى لا أكون من الجاهلين.

موقع الدعاء :

الدعاء هو الآية (٣٣) من سورة يوسف، جاء بعد أن شاع خبر يوسف وامرأة العزيز فى مصر حتى تحدث به الناس، وقالت نسوة فى المدينة، امرأة العزيز ـ وهو الوزير ـ تراود غلامها عن نفسه، وقد وصل حبه إلى شغاف قلبها، إنها بفعلتها هذه فى ضلال مبين، فلما سمعت امرأة العزيز بقولهن، أعدت لهن مجلسًا فيه طعام يقطع بالسكين، ودعتهن وأعطت لكل واحدة منهن سكينًا، وقالت ليوسف: ادخل عليهن، فلما رأينه أعظمن شأنه، وأجللن قدره، وجعلن يقطعن أيديهن دهشًا برؤيته، وهن يظنن أنهن يقطعن الأترج(٢) بالسكين، ثم قلن لامرأة العزيز ما نرى عليك من لوم بعد هذا الذى رأينا، لأنهن لم يرين فى البشر شبيهه أو قريبًا منه، فإنه ـ عليه السلام ـ كان قد أعطى شطر الحسن، كما ثبت فى الحديث الصحيح، ثم قالت امرأة العزيز: أليس هذا حقيقًا أن يُحَب لجماله وكماله، لقد راودته عن نفسه فامتنع،

---

(١) يوسف الآية: ٣٣ .

(٢) الأترج: بضم الهمزة وسكون التاء وضم الراء جمع أترجه وهي فاكهة لذيذة الطعم طيبة الرائحة.

ثم قالت تتوعده: لئن لم يفعل ما آمره به ليسجنن وليكونا من الصاغرين، فعند ذلك استعاذ يوسف ـ عليه السلام ـ من شرهن وكيدهن وتوجه إلى الله بهذا الدعاء.

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٣٠) فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ (٣١) قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ (٣٢) قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾. فكتب استجابة الله تعالى لدعاء نبيه :

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

يقول ابن كثير: وذلك أن يوسف عليه السلام عصمه ربه عصمة عظيمة، وحماه فامتنع منها أشد الامتناع، واختار السجن على ذلك، وهذا في غاية مقامات الكمال أنه مع شبابه وجماله وكماله تدعوه سيدته وهي امرأة عزيز مصر، وهي مع هذا في غاية الجمال والمال والرياسة. ويمتنع من ذلك، ويختار السجن على ذلك خوفا من الله ورجاء ثوابه.

من آداب هذا الدعاء :

أنه قدم لدعائه باختياره السجن على الاستجابة للكيد والإغراء، فهو يرجو من ربه أن يعينه على عزمه واختياره، وهكذا يكون دعاء المخلصين العاملين، يأخذون بالأسباب ويطلبون من الله العون والتأييد.

ثم هو دعاء الإنسان العارف ببشريته، الذي لا يغتر بعصمته، فهو يريد مزيدا من عناية الله وصيانته، يعاونه على ما يعترضه من فتنة وكيد وإغراء.

****

من دعاء يوسف ـ عليه السلام

﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾(1).

المعنى :

رب قد غمرتنى بنعمتك، وآتيتنى من الملك، وجعلتنى على خزائن الأرض، وعلمتنى تعبير الرؤيا، ياخالق السموات والأرض، أنت المتولى أمرى فى الدنيا والآخرة، توفنى على الإسلام، وألحقنى بالصالحين من الأنبياء والمرسلين.

موقع الدعاء :

هذا الدعاء هو الآية (١٠١) من سورة يوسف، جاء فى نهاية القصة، وبعد أن تمت النعمة باجتماع شمل يوسف بأوبيه وإخوته، ودخلوا مصر آمنين، وكما يقول ابن كثير: هذا دعاء من يوسف الصديق، دعا ربه ـ عز وجل ـ لما تمت نعمة الله باجتماعه بأبويه وإخوته، وما منّ الله به عليه من النبوة والملك، سأل ربه ـ عز وجل ـ كما أتم نعمته عليه فى الدنيا أن يستمر بها عليه فى الآخرة، وأن يتوفاه مسلما حين يتوفاه، وأن يلحقه بالصالحين، وهم إخوانه من النبيين والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين، وهذا الدعاء يحتمل أن يوسف ـ عليه السلام ـ قاله عند احتضاره. أهـ.

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ (٩٩) وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن

---

(١) يوسف الآية: ١٠١ .

نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ ثم دعا بهذا الدعاء .

من آداب هذا الدعاء :

أن يوسف عليه السلام قدم له بذكر النعم التى أسبغها الله عليه، كما أن فيه إقرارا بربوبية الله للسماوات والأرض، وفيه استسلام له سبحانه.

يقول ابن قيم الجوزية: جمعت هذه الدعوة الإقرار بالتوحيد والاستسلام للرب، وإظهار الافتقار إليه، والبراءة من موالاة غيره سبحانه، وكون الوفاة على الإسلام أجل غايات العبد، وأن ذلك بيد الله لا بيد العبد، والاعتراف بالمعاد وطلب مرافقة السعداء[١].

****

(١) راجع الفوائد لابن القيم الجوزية. طبعة عالم الكتب. بيروت ص ١٨٦ .

من دعاء إبراهيم ـ عليه السلام

﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ (٣٥) رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣٦) رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (٣٧) رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ (٣٨) الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٩) رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ (٤٠) رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾[١].

المعنى:

رب اجعل مكة بلدًا آمنًا وابعدني وذريتي عن عبادة الأصنام، لقد افتتن كثير من الناس بها، وأنا برىء ممن عبدوها، فمن ترك عبادتها وتبعني فإنه على ديني وملتي، ومن عصاني فمرده إليك إن شئت عذبته، وإن شئت رحمته، إنك أنت الغفور الرحيم[٢].

ربنا إني أسكنت بعض ذريتي ـ كما أمرتني ـ عند بيتك المحرم، ليقيموا الصلاة، فاجعل قلوبا من الناس تميل وتحن وتسرع إليهم شوقا وودادًا، وارزقهم من الثمرات ليكون ذلك عونا لهم على طاعتك.

---

(١) إبراهيم الآيات: ٣٥ ـ ٤١ .

(٢) يقول ابن كثير: ليس فيه أكثر من الرد إلى مشيئة الله تعالى لا تجويز وقوع ذلك ويقول الإمام السيوطي: هذا قبل علمه بأنه تعالى لا يغفر الشرك.

ربنا أنت تعلم قصدى فى دعائى، وما أردت به لأهل هذا البلد، إنما هو القصد إلى رضاك، والإخلاص لك، فإنك تعلم الأشياء كلها، ظاهرها وباطنها، لا يخفى عليك منها شىء فى الأرض ولا فى السماء، أحمدك ربى أن وهبت لى بعد الكبر(١) إسماعيل وإسحاق، واستجبت دعائى فيما سألتك من الولد.

رب اجعلنى محافظا على الصلاة، مقيما لحدودها، واجعل من ذريتى أيضاً من يقيمها، ربنا وتقبل دعائى وأعنى على ما عزمت عليه من عبادتك ومداومة شكرك. ربنا اغفر لى ولوالدى(٢) وللمؤمنين يوم تحاسب عبادك فتجازيهم بأعمالهم إن خيرا فخير وإن شراً فشر.

موقع الدعاء:

جاء هذا الدعاء من أبى الأنبياء إبراهيم ـ عليه السلام ـ ليستغرق سبع آيات من السورة التى سميت باسمه (سورة إبراهيم)، من الآية الخامسة والثلاثين وحتى الآية الحادية والأربعين.

جاء هذا الدعاء بعد أن تحدثت السورة فى أولها عن رسالة محمد ﷺ، والكتاب الذى أنزل إليه ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، وتلك نعمة الله الكبرى على عباده، وعن رسالة موسى ـ عليه السلام ـ لقومه ليخرجهم من الظلمات إلى النور، ويذكِّرهم بأيام الله ونعمة الله عليهم، وأعلن لهم ما تأذن به الله: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ ثم تحدثت عن المكذبين من أمة محمد ﷺ والذين بدلوا نعمة الله كفرا، وقادوا قومهم إلى الهلاك ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾.

---

(١) ولد إسماعيل ولأبراهيم تسع وتسعون سنة، وولد إسحاق وله مائة واثنتا عشرة سنة. راجع الجلالين.

(٢) طلب المغفرة لوالديه قبل أن يتبين له أن والده عدو لله، وكانت أمه مؤمنة، ثم لما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه. راجع صفوة البيان لمعاني القرآن.

وتعرض السورة بعد ذلك بعض نعم الله التى لا تحصى، ومنها السماوات والأرض وإنزال الماء من السماء ليخرج به رزقا للعباد، وتسخير الفلك والأنهار، والشمس والقمر، والليل والنهار: ﴿اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ (٣٢) وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (٣٣) وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾.

ثم تأتى آيات الدعاء بعد الحديث عن الله لترسم صورة للنموذج الكامل للإنسان الذاكر الشاكر، وهو أبو الأنبياء إبراهيم - عليه السلام - فى مشهد خاشع، يظلله الشكر وتشيع فيه الضراعة، ويتجاوب فيه الدعاء، فى نغمة رخية متموجة، ذاهبة فى السماء[1].

من آداب هذا الدعاء:

أنه كرر نداء الرب سبحانه وتعالى بصيغة (رب) مرات، و(ربنا) مرات أخرى تأكيدا على قضية الربوبية، وإيمانا بأن الله سبحانه وتعالى هو وحده الرب الذى يعطى ويمنع، ويبسط ويقبض، ويرفع ويخفض، ومنها ذكر الله تعالى والثناء عليه بما هو أهله ﴿فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، ﴿إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ﴾، ﴿إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾، ومنها أنه دعا الله تعالى بمراداته واختياراته لعباده، أو بما يعين عليها، كقوله: ﴿وَاجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾ وقوله: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِى مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾ فاجتناب الأصنام، وإقامة الصلاة من اختيارات الله للإنسان، وقوله: ﴿وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ فطلب الرزق من الثمرات ليعينهم ذلك على شكر الله تعالى وطاعته.

---

(١) راجع الظلال.

ما جاء فى فضل هذا الدعاء :

أورد ابن كثير حديثا عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ تلا قول إبراهيم عليه السلام: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ﴾ الآية، وقول عيسى عليه السلام ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾[1] الآية، ثم رفع يديه ثم قال: «اللهم أمتى، اللهم أمتى» وبكى، فقال الله اذهب ياجبريل إلى محمد، وربك أعلم، وسله ما يبكيك.

فأتاه جبريل ـ عليه السلام ـ فسأله، فأخبره رسول الله ﷺ ما قال، فقال الله: اذهب إلى محمد فقل له إنا سنرضيك فى أمتك ولا نسوؤك .

****

(١) المائدة الآية: ١١٨ .

من دعاء أصحاب الكهف

﴿رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾[1].

أصحاب الكهف :

هم جماعة من الشباب فروا بدينهم من قومهم لئلا يفتنوهم عنه، فهربوا منهم ولجئوا إلى غار فى جبل ليختفوا عن قومهم وحين دخلوا الغار توجهوا إلى الله تعالى بهذا الدعاء.

المعنى :

ربنا هب لنا من خزائن رحمتك المكنونة عن عيون أهل العادات رحمة ترحمنا بها، وتسترنا بها عن قومنا، فهى رحمة تستوجب المغفرة والرزق والأمن من الأعداء، وقدِّر لنا من أمرنا هداية إلى الحق، واجعل عاقبتنا رشدًا[2].

موقع الدعاء :

الدعاء جزء من الآية العاشرة من سورة الكهف، وهى الآية الثانية فى قصة أصحاب الكهف، حيث بدأت القصة بقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ ثم جاءت الآية الثانية المشتملة على الدعاء: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ .

ولقد هربوا من قومهم مخافة أن يفتنوهم عن دينهم، وكان ذلك اختيار الله تعالى لهم ـ كما يقول ابن كثير ـ يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم

(١) الكهف الآية: ١٠ .

(٢) كما جاء في الحديث: «وما قضيت من قضاء فاجعل عاقبته رشدا» والرشد الهدى.

مِّرْفَقًا﴾، ولذلك كان أول ما دخلوا الكهف دعوا الله تعالى أن ينشر لهم من رحمته، وأن يقدر لهم الخير والهداية من أمرهم.

ومجيء هذا الدعاء العظيم فى صدر القصة، ووروده فى أولها على هذا النحو، كأنه عنوان عليها وخلاصة لها، ثم ينتقل السياق بعد ذلك إلى تفصيل القصة، كدليل على أن هذا الدعاء من أبرز العبر المستخلصة من القصة إذ أنه يشير إلى إيمان أصحاب الكهف وتوجههم إلى الله يطلبون الرحمة ويرجون الرشاد، وهو مطلب كل جماعة يصارعها الشر بعنفوانه، ويطاردها الباطل بصولجانه.

من آداب هذا الدعاء :

أن أصحاب الكهف ـ وهم فتية آمنوا بربهم وزادهم هدى ـ لم يقترحوا على الله، وإنما فوضَّوا أمرهم إليه، ودعوه بما يريد من عباده أن يدعوه به من الرحمة والهدى، فإن أعظم ما يدعو الإنسان به ربه أن يطلب رحمته وهدايته، أرأيت إلى الآية الكريمة ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾(١)، وأن الدعاء الذى علمنا الله إياه لنتوجه به إليه فى كل صلاة، وفى كل قراءة لفاتحة الكتاب، هو: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

****

(١) البقرة الآية: ٢١٨ .

من دعاء زكريا ـ عليه السلام

﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾(١).

المعنى :

رب إني ضعف عظمي، وانتشر الشيب في رأسي انتشار النار في الحطب، وقد دعوتك من قبل فلم تخيبني، وإني خفت بني عمّي وعصبتي ألا يحسنوا خلافتي في أمتي بعد موتي، ويبدلوا عليهم دينهم، وامرأتي عاقر لم تعقب لي ولدا ليخلفني، فهب لي من عندك ابنا يرثني ويرث من آل يعقوب ـ جدي ـ العلم والنبوة، واجعله رب مرضيا عندك، أهلا لما يرثه.

موقع الدعاء :

الدعاء هو الآيات الرابعة والخامسة والسادسة من سورة مريم، التي بدأت بقصة زكريا ويحيى، فقصة مريم ومولد عيسى، فطرف من قصة إبراهيم مع أبيه، ثم تعقبها إشارة إلى النبيين: إسحاق ويعقوب، وموسى وهارون، وإسماعيل، وإدريس، وآدم ونوح، وكلها تستهدف إثبات الوحدانية والبعث، ونفي الولد والشريك، وبيان منهج المهتدين، ومنهج الضالين من أتباع النبيين.

وقد بدأت قصة زكريا ويحيى بهذا الدعاء الخافت الذي لم يسمعه غير رب زكريا ورب العالمين، ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾. هذا الدعاء يصور به حاله، ويقدم رجاءه، ويذكر ما يخشاه، ويعرض ما يطلبه.

---

(١) مريم الآيات: ٤،٦ .

إنه يخشى عصبته من بعده، يخشاهم ألا يقوموا على تراثه بما يرضاه، وتراثه هو دعوته التى يقوم عليها ـ وهو أحد أنبياء بنى إسرائيل العظام ـ وأهله الذين يرعاهم ومنهم مريم التى كان قيِّمًا عليها، وهى تخدم المحراب الذى يتولاه، وماله الذى يحسن تدبيره وإنفاقه فى وجهه، وهو يخشى الموالى من ورائه على هذا التراث كله، ويخشى ألا يسيروا فيه سيرته.. قيل لأنه يعهدهم غير صالحين للقيام على ذلك التراث، وامرأته عاقر لم تعقب، فلم يكن له من ذريته من يملك تربيته وإعداده لوراثته وخلافته، ذلك ما يخشاه، فأما ما يطلبه فهو الولى الصالح الذى يحسن الوراثة، ويحسن القيام على تراثه، وتراث النبوة من آبائه وأجداده.

ولا ينسى زكريا النبى الصالح أن يصور أمله فى ذلك الوريث الذى يرجوه فى كبره: ﴿ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ لا جبارا ولا غليظا، و لا متبطرا ولا طموعا.

واستجاب الله دعاء زكريا عليه السلام، ونادته الملائكة وهو يصلى فى المحراب: ﴿ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴾.

من آداب هذا الدعاء :

أن زكريا ـ عليه السلام ـ دعا ربه بصوت خافت خفيض، وخفض الصوت بين المخافتة والجهر من آداب الدعاء، فقد روى أبو داود عن أبى موسى الأشعرى قال: قدمنا مع رسول الله ﷺ، فلما دنونا من المدينة كبَّر، وكبَّر الناس، ورفعوا أصواتهم، فقال النبى ﷺ : «يا أيها الناس، إن الذين تدعون ليس بأصم ولا غائب، إن الذى تدعون بينكم وبين أعناق ركابكم» وقال الله عز وجل: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلاً ﴾(١) وقد جاء فى الحديث المتفق عليه عن السيدة عائشة ﵂، قالت: بصلاتك أى بدعائك.

(١) الإسراء الآية: ١١٠ .

ومن آداب هذا الدعاء كذلك إظهـار الضعف، وصدق الافتقار إلى الله سبحانه وتعالى: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾، وإظهار الخوف: ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي ﴾، وإظهار العـجز: ﴿ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا ﴾، ومن آدابـه ذكر نعمة الله عليـه واستجابته دعاءه فـيما مضى ﴿ وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾، ويقول القرطبى: وهذه وسيلة حسنة، أن يتشـفع إليه بنعمه، ويستدر فضله[١]. ومـن آدابه بيان الغاية من طلب الولد، وحرصه على ميراث العلم والنبوة: ﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ﴾ والرجاء فى صلاح الذرية وقيامها بما يرضى الله عز وجل: ﴿وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾.

★★★★

(١) انظر القرطبي جـ ١١ ص ٨٠ الهيئة المصرية العامة للكتاب .

من دعاء موسى ـ عليه السلام

﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٦) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي (٢٨) وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي (٢٩) هَارُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (٣٢) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (٣٣) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا (٣٤) إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا﴾[1].

المعنى :

رب اشرح لى صدرى، وسهل لى أمرى، حتى أبلغ رسالتك التى كلفتنى بها، فإن لم تكن أنت عونى ونصيرى، وعضدى وظهيرى فلا طاقة لى بذلك، واحلل عقدة من لسانى حتى يفهموا قولى عند تبليغ دعوتك، واجعل أخى هارون معينًا على أداء رسالتك، أحكم به قوتى، وأجعله شريكى فى مهمتى، كى نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً، إنك كنت بنا بصيراً، تعرف حالنا وتطلع على ضعفنا وقصورنا، وتعلم حاجتنا إلى العون والتدبير.

موقع الدعاء :

هذا الدعاء من سورة طه إحدى عشرة آية، من الآية الخامسة والعشرين حتى الآية الخامسة والثلاثين، والسورة من السور المكية ذات الآيات القصار، وآياتها مائة وخمس وثلاثون آية، جاءت قصة موسى مفصلة فى تسع وثمانين آية، قصته مع فرعون، وقصته مع بنى إسرائيل، وقصته مع السامرى، وجاء موقع ا لدعاء بعد أن آنس موسى نارا من جانب الطور، وناداه ربه بالوادى المقدس، وكلفه بالرسالة فى مواجهة أطغى ملوك الأرض، وأشدهم كفراً وتجبراً، عندئذ استشعر موسى عظم الرسالة، وخطر المهمة، وتوجه إلى ربه بهذا الدعاء.

---

(١) طه الآيات: ٢٥ ، ٣٥ .

واستجاب الله دعاء نبيه عليه السلام: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ﴾، هكذا مرة واحدة، فى كلمة واحدة، فيها إجمال يغنى عن التفصيل، وفيها إنجاز لا وعد ولا تأجيل، كل ما سألته أعطيته، أعطيته فعلا، لا تعطاه ولا تسعطاه، وفيها مع الإنجاز عطف وتكريم، وإيناس بندائه باسمه «ياموسى» وأى تكريم أكبر من أن يذكر الكبير المتعال اسم عبد من العباد[1].

من آداب هذا الدعاء:

صدق اللجأ والافتقار إلى الله تعالى بإظهار الضعف، والحاجة إلى المعين والوزير، ومنها أنه لم يسأل الله إلا بقدر حاجته كما جاء فى أقوال بعض المفسرين، إنه لم يطلب حل عقدة لسانه بالكلية، وإنما طلب حلها بالقدر الذى يجعله قادرا على الإفهام وتبليغ الرسالة فقال: ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾[2].

ومن آداب هذا الدعاء أيضا الإفصاح عن الغاية السامية من دعائه: ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (٣٣) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾.

★★★★

(١) انظر الظلال.

(٢) راجع ابن كثير، وراجع أبي السعود حيث يرى أن الله حل عقدة لسانه بالجملة، وأن قوله تعالى على لسان موسى عن أخيه هارون ﴿هو أفصح مني لسانا﴾ فالتفضيل يفيد ثبوت أصل الفصاحة في المفضول أيضا.

من دعاء أيوب ـ عليه السلام

﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾(١).

أيوب عليه السلام: من ولد عيص بن إسحاق، استنبأه الله تعالى، وكثر أهله وماله، فابتلاه الله تعالى بهلاك أولاده، وذهاب أمولاه، والمرض فى بدنه سنين طويلة، وروى أن امرأته هى رحمة بنت أفريم بن يوسف عليه السلام، قالت له يوما: لو دعوت الله تعالى؟ فقال: كم كانت مدة الرخاء؟ فقالت: ثمانين. فقال: أستحى من الله تعالى أن أدعوه وما بلغت مدة بلائى مدة رخائى(٢).

وروى فى سبب دعائه أن إبليس اللعين حاول أن يصرفه عن صبره وشكره لله تعالى فلم يفلح، فوسوس إلى بعض المقربين من أيوب، فقالوا وأسمعوا أيوب ما قالوا. قال أحدهم لصاحبه: تعلم والله لقد أذنب أيوب ذنبا ما أذنبه أحد من العالمين، فقال له صاحبه: وما ذاك؟ قال: منذ ثمانى عشرة سنة لم يرحمه الله فيكشف ما به، فشق ذلك على أيوب، وخرَّ ساجدًا ودعا بهذا الدعاء(٣).

المعنى :

رب إنى مسنى الضر بهلاك أولادى، وذهاب أموالى، وما أصابنى فى جسدى، وأنت أرحم الراحمين.

موقع الدعاء :

الدعاء جزء من الآية (٣٨) من سورة الأنبياء، وقد استعرضت فى إيجاز سيرة بعض الأنبياء، وما حباهم الله به من صفات، وما تعرضوا له من ابتلاءات، ورحمة الله بهم، ورعايته لهم.

---

(١) الأنبياء الآية: ٨٣ .

(٢) انظر تفسير أبي السعود.

(٣) راجع ابن كثير.

وقد بدأت بإبراهيم عليه السلام، ثم بنوح، فداود وسليمان، فأيوب الذى استعرضت سيرته فى آيتين فقط حسبما اقتضى السياق: الأولى تحدثت عن ندائه لربه، والثانية تحدثت عن استجابة الله له، ورحمة الله التى غمرته.

من آداب هذا الدعاء:

أن أيوب ـ عليه السلام ـ ما زاد فى دعائه عن وصف حاله: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾ ووصف ربه بصفته: ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ ثم لا يدعو بتغيير حاله، صبرا على بلائه، ولا يقترح شيئا على ربه، تأدبًا معه وتوقيرًا، فهو نموذج العبد الصابر، لا يضيق صدره بالبلاء، ولا يتململ من الضر الذى تضرب به الأمثال فى كل الأعصار، بل إنه ليتحرج أن يطلب إلى ربه رفع البلاء عنه، فيدع الأمر كله إليه، اطمئنانا إلى علمه بالحال، وغناه عن السؤال.

وفى اللحظة التى توجه فيها أيوب إلى ربه بهذه الثقة، وبذلك الأدب كانت الاستجابة وكانت نهاية البلاء: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ﴾.

رفع عنه الضر فى بدنه فإذا هو صحيح معافى، ورفع عنه الضر فى أهله فعوضه عمن فقد منهم، ورزقه مثلهم، وقيل هم أبناؤه فوهب الله له مثليهم، أو أنه وهب له أبناء وأحفادا.

وإن فى بلاء أيوب لمثلا للبشرية كلها، وإن فى صبر أيوب لعبرة للبشرية كلها، وإنه لأفق للصبر والأدب وحسن العاقبة تتطلع إليه الأبصار[1].

****

(١) انظر الظلال.

من دعاء يونس ـ عليه السلام

﴿لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[1].

المعنى :

رب لا معبود بحق سواك، انزهك عن كل ما لا يليق بكمالك وجلالك، إنى ظلمت نفسى بالخروج مغاضباً ولم أنتظر أمرك، فأنا معترف بذنبى، مقر بظلمى لنفسى، وهأنذا فى بطن الحوت فى ظلمات بعضها فوق بعض، أمرى بيدك، وحالى لا يخفى عليك.

موقع الدعاء :

جزء من الآية (٨٧) من سورة الأنبياء، وقد دكرنا عند الحديث عن دعاء أيوب ـ عليه السلام ـ أنها من السور المكية التى تعرض سير الأنبياء فى إيجاز، وتوجههم إلى الله، ورحمة الله بهم، وقد جاءت سيرة ذى النون يونس ـ عليه السلام ـ على نسق سيرة أيوب قبله فى آيتين: إحداهما تعرض دعاءه والثانية تعرض استجابة الله له وإنجاءه من الغم.

والآيتان غاية فى الإعجاز البيانى فهما على قصرهما تشتملان على معان مستفيضة، وعبر جليلة، فالآية الأولى تعرض كيفية خروج يونس ـ عليه السلام ـ من القرية التى أرسل إليها، فدعا إلى الله فاستعصوا عليه، فضاق بهم صدرا، وغادرهم مغاضبا، ولم يصبر على معاناة الدعوة معهم، ظاناً أن الله لن يضيق عليه الأرض فهى فسيحة والقرى كثيرة، وذلك معنى: ﴿ فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ أى أن لن نضيق عليه، وقاده غضبه إلى شاطىء البحر، فوجد سفينة مشحونة فركب فيها، حتى إذا كانت فى اللجة ثقلت، وقال ربانها: إنه لابد من إلقاء أحد ركابها فى البحر لينجو

---

(١) الأنبياء الآية: ٨٧ .

سائر من فيها، فساهموا فجاء السهم على يونس، فألقوه أو ألقى هو بنفسه، فالتقمه الحوت، فلما كان فى الظلمات: ظلمة جوف الحوت، وظلمة البحر، وظلمة الليل، نادى ربه بهذا النداء. وذلك قوله تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

والآية الثانية تتحدث عن إنجاء الله واستجابته دعاءه، وعن العبرة المستخلصة من القصة: ﴿وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ وهكذا ـ كما نجينا يونس ننجى الذين آمنوا، وأخلصوا لله التوحيد، وأخلصوا له الدعاء، ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾.

من آداب هذا الدعاء :

أنه بدأه بتوحيد الله سبحانه وتعالى، والتسبيح له، ومنه الاعتراف بالذنب، والإقرار بالخطأ، ومن أدبه بعد أن ذكر ربه، واعترف بذنبه عرض حاله دون أن يقترح شيئا على ربه، بل ترك الأمر لله ولمشيئته.

ما جاء فى فضل هذا الدعاء :

قال رسول الله ﷺ: «من دعا بدعاء يونس استجيب له» وروى عن سعد بن أبى وقاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اسم الله الذى إذا دعى به أجاب، وإذا سئل به أعطى دعوة يونس بن متى» قال: قلت يارسول الله: هى ليونس خاصة أم لجماعة المسلمين؟ قال: «هى ليونس بن متى خاصة وجماعة المؤمنين عامة إذا دعوا بها، ألم تسمع قول الله عز وجل: ﴿فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ فهو شرط من الله لمن دعاه به».

وشبيه بهذا الأدب فى الدعاء ما جاء فى الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب: «لا إله إلا الله، العظيم الحليم،لا إله إلا الله،

رب العـرش العظيـم، لا إله إلا الله، رب السـمـاوات ورب الأرض، ورب العـرش الكريم»[1].

ومـا روى عن عـبـد الله بن عـمـر ﵄، أن أبا بكر الـصـديق ﵁، قـال: للنبى ﷺ : يارسول الله، علمنى دعـاء أدعو به فى صلاتى، قـال: «قل اللهم، إنى ظلمت نفسى ظلما كثـيرا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لـى من عندك مغفرة، إنك أنت الغفور الرحيم»[2].

أرأيت كيف كـان رسولنا ﷺ يجـأر عند الكرب إلى ربه بتوحـيده سبـحانه، متوسلا بأسمائه الحسنى (العظيم، الحليم، الكريم).

وكيف كان يعـلـم صاحبه الصديق أن يدعـو ربه بطلب المغفرة، مقـدما بين يدى دعائه بالاعتراف بذنبه.

★★★★

(١) اللؤلؤ والمرجان. الحديث رقم: ١٧٤١ .

(٢) اللؤلؤ والمرجان. الحديث رقم: ١٧٣٠ .

من دعاء زكريا ـ عليه السلام

﴿رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾[1].

المعنى :

رب لا تتركني فردا ، بلا عقب يخلفني في أهلي وديني ومالي ، ويكون امتدادا لي ليؤدي دوره والرسالة التي خلقت البشر من أجلها، ما دامت للبشر حياة، وأنت خير الوارثين، لأنك وحدك وارث العقيدة ووارث المال، وما الخلق إلا ستار قدرتك في الأرض.

موقع الدعاء :

هذا الدعاء جزء من الآية (٨٩) من سورة الأنبياء، وقد جاء ذكر زكريا عليه السلام في السورة على نفس النسق الذي جاء عليه ذكر أيوب وذي النون، فقد ذكر في آيتين: الأولى تتضمن نداءه وتضرعه إلى ربه: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾.

والثانية تذكر استجابة الله له حيث وهب له يحيى وأصلح له زوجه، وكانت عقيما لا تصلح للنسل، وبينت الآية وجه العبرة من القصة: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ وهكذا يستجيب الله دعاء المسارعين في الخيرات الخاشعين لله، الذين يرجون رحمته، ويخافون عذابه.

من آداب هذا الدعاء :

إظهار الضعف، وصدق اللجأ والافتقار إلى الله، فهو يتضرع إلى الله أن لا يتركه وحيدا، وأن لا تنتهي رسالته بموته، ومنه أيضا حرصه على النبوة، والدعوة إلى الله،

(١) الأنبياء الآية: ٨٩ .

وخوفه أن يبدل الدين من بعده، كما رأينا يصرح بذلك فى دعائه من سورة مريم: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي﴾(١).

ومن آدابه أيضا ذكر الله تعالى والثناء عليه: ﴿وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾.

ومنه الخشوع، والتوجه إلى الله رغبة فى رضوانه، ورهبة من غضبه وذلك أرجى للإجابة، ولذلك قال تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾.

****

(١) مريم الآية: ٥ .

من دعاء رسولنا محمد ﷺ

﴿رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾(1).

المعنى :

رب اقض بينى وبين هؤلاء المكذبين المستهزئين، بقضائك الحق، فانصرنى عليهم، فأنت ربنا الكفيل بأن ترحم رسولك وتعينه على ما يصف هؤلاء الكافرون.

موقع الدعاء :

هذا الدعاء هو ختام سورة الأنبياء، وقد ألقينا الضوء على أغراض السورة عند الحديث عن دعاء أيوب ودعاء يونس، ودعاء زكريا عليهم السلام، وبعد أن استعرضت السورة سير بعض الأنبياء فى إيجاز وسيرة إبراهيم عليه السلام فى شىء من التفصيل ورحمة الله بهم، انتقلت السورة إلى الحديث عن القيامة، وتوعدت المشركين بالعذاب الأليم: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ (98) لَوْ كَانَ هَؤُلاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، ثم تحدثت عن رحمة الله بالعالمين بإرسال محمد ﷺ : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾، وأمرت الرسل أن يدعو الناس إلى الإسلام محددا الهدف من دعوته فى وضوح تام: ﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾، فلما تولوا بعد ذلك وأعرضوا ما كان من رسول الله ﷺ إلا أن اتجه إلى الله يدعوه أن يحكم بينه وبين قومه بالحق، ويسأله الرحمة به، والعون على ما يفتريه هؤلاء المكذبون.

من آداب هذا الدعاء :

أنه لم يطلب النصرة لنفسه مباشرة، بل طلب من الله أن يحكم بالحق، مع علمه

(1) الأنبياء الآية: 112 .

أن الحق في جانبه ﴿قال رَبّ احْكُم بالْحَقّ﴾، ومنها ذكر الله والتقرب إليه ومناجاته بأسمائه الحسنى ﴿ورَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ﴾، وأنه لم يصرح بما يلاقيه من قومه من عنت وافتراء وتكذيب مكتفيا بعلم الله تعالى بما يفعل هؤلاء وفي ذلك ما فيه من إيجاز وصون للسان عند ذكر افتراءات المكذبين.

ما جاء في فضل هذا الدعاء :

يقول القرطبي: روى سعيد عن قتادة قال: كانت الأنبياء تقول: «ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق» فأمر النبي ﷺ أن يقول: «رب احكم بالحق»، فكان إذا لقي العدو يقول وهو يعلم أنه على الحق وعدوه على الباطل «رب احكم بالحق» أي اقض به. أ هـ.

****

من دعاء نوح ـ عليه السلام

﴿رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلاً مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾(١).

المعنى :

رب اجعل نزولنا مباركا واجعل مكان نزولنا مباركا بتكاثر خيره ولن يكونا كذلك إلا بذكرك وتوحيدك وعبادتك بعد أن طهرت الأرض من الشرك والرجس، وهلك الكافرون، وقيل بعدا للقوم الظالمين، فأنت ياربنا خير المنزلين، تنزل عبادك المؤمنين منازل الصدق والبركة والخير.

موقع الدعاء :

الدعاء جزء من الآية (٢٩) من سورة (المؤمنون)، وقد رأينا عند الحديث عن أدعية أيوب وزكريا ويونس فى سورة الأنبياء كيف أن السورة عرضت موكب الرسل وهم يتوجهون إلى الله يدعونه فيستجيب لهم، ويغمرهم برحمته، أما هنا فى سورة (المؤمنون) فهى تعرض حقيقة الإيمان كما عرضها رسل الله ـ صلوات الله وسلامة عليهم ـ من لدن نوح ـ عليه السلام ـ إلى محمد خاتم الرسل والنبيين، وشبهات المكذبين حول هذه الحقيقة، واعتراضاتهم عليها، ووقوفنا فى وجهها، حتى يستنصر الرسل بربهم، فيهلك المكذبين، وينجى المؤمنين.

ولم تعرض السورة من أدعية الأنبياء غير دعاء علمه الله رسوله نوحا عليه السلام يدعو به حين يستوى هو من معه على الفلك، ودعاء خاتم رسله محمد ﷺ يدعو به حين يتزل وعيد الله بالمكذبين من أمته.

فقال الله لنوح ـ عليه السلام ـ: ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ

(١) المؤمنون الآية : ٢٩ .

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢٨) وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلاً مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾.

من آداب هذا الدعاء :

أنه مسبوق بحمد الله وشكره على نعمه وفضله: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾، ومنه أنه مختوم بذكر الله، ووصفه تعالى بصفاته: ﴿ وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾.

★★★★

من دعاء رسولنا محمد ﷺ

﴿رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾[1].

المعنى :

رب إن أريتنى ما توعدت به الظالمين، وما تنزله من هلاك وعذاب بالمكذبين، فلا تهلكنى يارب بهلاكهم، ولا تؤاخذنى ومن معى من المؤمنين بما فعل هؤلاء السفهاء، فهو من قبيل دعاء موسى ـ عليه السلام ـ الذى مر بنا: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾[2].

فالله سبحانه وتعالى يعلم نبيه ﷺ أن يتقى ما ينزل بالظالمين من قومه بهذا الدعاء، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾[3].

ومنه قول رسول الله ﷺ فيما رواه الإمام أحمد والترمذى: «وإذا أردت بقوم فتنة، فتوفنى إليك غير مفتون».

رب ألجأ إليك، وأتحصن بك لتحفظنى من نزعات الشياطين، بما يوسوسون به من السوء والفساد[4]، فلا تثور نفسى، ولا يضيق صدرى بما يقول أو يفعل المكذبون، وأعوذ بك أن يحضروا مجلسى أو يحضروا فى أمورى فإنهم لا يحضرون إلا بسوء، أو أن يحضرونى ساعة الوفاة[5] لتقبضنى إليك راضيًا مرضيًا.

---

(١) المؤمنون الآيات : ٩٣، ٩٤، ٩٧، ٩٨ .   (٢) الأعراف الآية : ١٥٥ .

(٣) الأنفال الآية : ٢٥ .

(٤) استعاذة الرسول ﷺ من همزات الشياطين ووسوستهم ـ وهو معصوم منها ـ زيادة في التوقي، وزيادة في الالتجاء إلى الله، وتعليما لأمته، وهو قدوتها أن يتحصنوا بالله من همزات الشياطين في كل حين.

(٥) يرشح لهذا المعنى ما يتلوه في السياق: ﴿حتى إذا حضر أحدهم الموت﴾ الآية.

ومن قبيل هذا الدعاء قول رسول الله ﷺ : «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه»(١).

موقع الدعاء :

هذا الدعاء هو الآيات (٩٣، ٩٤، ٩٧، ٩٨) من سورة (المؤمنون) وهى من السور المكية التى بدأت بتقرير الفلاح للمؤمنين، وبيان صفاتهم، ثم عرضت دلائل الإيمان فى الأنفس والآفاق، وتحدثت عن كلمة الإيمان التى أرسل بها المرسلون إلى أقوامهم، وما كان من هؤلاء الأقوام من إعراض عن الحق وتكذيب له، حتى وصل السياق إلى المكذبين من أمة محمد ﷺ فاستنكرت ما كان منهم من كراهية للحق، واتباع للهوى، وإعراض عن القرآن، ونكوب عن الصراط المستقيم:

﴿ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾. ﴿ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ ﴾(٢).

فاستحقوا بذلك الإعراض والتكذيب غضب الله وعذابه، لأن رحمة الله بهم لن تزيدهم إلا طغيانا وكفرا ﴿ وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾(٣).

فناسب ذلك أن يعلم الله رسوله ﷺ هذا الدعاء حتى يخرجه من القوم الظالمين إذا حل بهم سخط الله، أو نزل بهم عذابه.

---

(١) أورده ابن كثير عند حديثه عن الاستعاذة.

(٢) المؤمنون الآيات: (٧٠، ٧١، ٧٣، ٧٤).

(٣) المؤمنون الآية: ٧٥ .

يقول القرطبي: كان، عليه السلام، يعلم أن الله لا يجعله في القوم الظالمين إذا نزل بهم العذاب، ومع هذا أمره ربه بهذا الدعاء والسؤال ليعظم أجره، وليكون في كل الأوقات ذاكرا لربه تعالى.

من آداب هذا الدعاء:

إظهار الخشوع والتضرع إلى الله عز وجل، وذلك بكثرة النداء (رب). ومنه التجرد من كل حول وقوة إلا من حول الله وقوته: ﴿ رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ ﴾، و ﴿ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ ﴾، ففي قوله: ﴿بِكَ﴾ وتكراره تأكيد على أن التعوذ لا يكون إلا بالله وحده، ومنه الإلحاح في النداء والدعاء، كما رأينا من تكرار التعوذ، وتكرار النداء.

★★★★

من دعاء المؤمنين

﴿رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾

﴿رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾(١).

المعنى:

ربنا إننا صدقنا بك، وبرسلك، وكتبك، ولكننا مع التصديق والعمل قد نخطيء، وقد نقصر، فاغفر لنا ذنوبنا، ولا تفضحنا بها بين عبادك، وارحم ضعفنا وعجزنا، فلا تحملنا ما لا طاقة لنا به، وجنّبنا برحمتك الوقوع فى الزلل والخطأ، وأنت خير الراحمين.

موقع الدعاء:

هذا الدعاء جزء من الآية (١٠٩) والآية (١١٨) من سورة (المؤمنون) وقد جاء الجزء الأول من الدعاء فى معرض الحديث عن أهل النار، وتبكيت الله لهم حين تلفح النار وجوههم وهم فيها كالحون.

وقد حكت الآيات الحوار بينهم وبين رب العزة على النحو التالى: ﴿ أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ (١٠٥) قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ (١٠٦) رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ (١٠٧) قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ (١٠٨) إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (١٠٩) فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴾.

ثم بيّن الله تعالى مصير هؤلاء المؤمنين الداعين بهذا الدعاء: ﴿ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾.

---

(١) المؤمنون الآيات: ١٠٩، ١١٨ .

ويأتى الجزء الثانى من الدعاء تعليما من الله تعالى لرسوله محمد ﷺ أن يدعو به ربه، وأن يعلم أمته لتدعو به: ﴿وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾.

من آداب هذا الدعاء:

أنه مسبوق بالإقرار بالإيمان والتصديق ﴿رَبَّنَا آمَنَّا﴾، ومنها الثناء على الله تعالى بما هو أهله: ﴿ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾، وأنه دعاء الله والتوجه إليه بما أمر.

****

من دعاء عباد الرحمن

﴿رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (٦٥) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾.

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾(١).

المعنى :

ربنا باعد بيننا وبين عذاب جهنم، إن عذابها ملازم لأهلها لا يفارقهم، فهى بئس المستقر، وبئس المقام.

ربنا اجعل أزواجنا وأولادنا مطيعين لك، فتقر بهم أعيننا(٢) ووفقنا لطاعتك وتقواك حتى نكون للمتقين قدوة فى الخير يقتدون بنا.

موقع الدعاء :

الدعاء من سورة الفرقان، وهى من السور المكية التى عالجت قضيتى الوحى والرسالة، إن السورة تبدو وكأنها إيناس لرسول الله ﷺ وتسرية وتطمين له وتقوية، وهو يواجه مشركى قريش، وعنادهم له، وتطاولهم عليه. وتعنتهم معه، وجدالهم بالباطل، ووقوفهم فى وجه الهدى وصدهم عنه. تعرض السورة الكريمة أقوال المشركين ثم تتولى الرد عليهم وتسلية الرسول ﷺ .

قالوا عن القرآن العظيم: ﴿ إِنْ هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾، وقالوا: ﴿ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ وقالوا عن محمد

---

(١) الفرقان الآيات: ٦٥، ٧٤ .

(٢) قرة العين يحتمل أن تكون من القرار والسكون، ويحتمل أن تكون من القر وهو البرد، لأن العرب تتأذى بالحر وتستريح إلى البرد، وأيضاً فإن دمع السرور بارد، ودمع الحزن سخن، فمن هذا يقال: أقر الله عينيك، وأسخن الله عين العدو. (راجع القرطبي).

الرسول الكريم: ﴿ إن تَتَّبِعُونَ إلاَّ رَجُلاً مَّسْحُورًا﴾، وقالوا مشيرين إليه فى استهزاء: ﴿ أَهَذَا الَّذِى بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً ﴾، وقالوا فى تعنت: ﴿ لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ﴾، واعترضوا على بشرية الرسول ﷺ : ﴿مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ﴾.

ويعزيه ربه عن استهزائهم وتطالوهم بتصوير المستوى الهابط الذى يتمرغون فيه: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً (٤٣) أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾.

ويعده بالعون والمساعدة فى معركة الجدل والمحاجة: ﴿وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾.

وفى نهاية المعركة كلها يعرض عليه مصارع المكذبين من قبل: قوم موسى ونوح وعاد وثمود وأصحاب الرس وما بين ذلك من قرون.

ويسليه بأن مثله مثل الرسل كلهم من قبله: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ﴾ ، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ﴾.

ويكلفه أن يصبر ويصابر، ويجاهد الكفار بما معه من القرآن: ﴿ فَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾.

حتى تقرب السورة من نهايتها فإذا ريح رخاء، وروح وريحان، وطمأنينة وسلام.. وإذا صورة «عباد الرحمن» ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا ﴾، وكأنما تتمخض عنهم معركة الجهاد الشاقة مع البشرية الجاحدة الضالة المعاندة، وكأنما هم الثمرة الحلوة الجنية الممثلة للخير الكامن فى شجرة البشرية ذات الأشواك[1].

---

(١) راجع الظلال.

إنهم عباد الرحمن الذين يتوجهون إلى ربهم بهذا الدعاء فى ضراعة وخشوع، يرجون رحمته ويخافون عذابه، ويدعون الله أن تعقبهم ذرية تسير على نهجهم، وأزواج من نوعهم، فتقر بهم عيونهم،، وتطمئن بهم قلوبهم، كما يدعونه أن يجعل منهم قدوة طيبة للذين يتقون الله ويخافونه.

من آداب هذا الدعاء :

ما صاحبه من ضراعة وخشوع، وخوف من عذاب جهنم، فلقد وصفتهم الآيات قبل الدعاء مباشرة بأنهم: ﴿يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴾، ولكنهم لما يخالج قلوبهم من التقوى يستقلون عملهم وعبادتهم ولا يرون فيها ضمانا ولا أمانا من النار، إن لم يتداركهم فضل الله وسماحته ورحمته فيصرف عنهم عذاب جهنم.

ومن آدابه أنهم يدعون ربهم دعاء العارف العليم، المؤمن إيمانا عميقا بما أعده الله من عذاب للجاحدين، ونعيم للطائعين. يقول القرطبى معقبا على قول عباد الرحمن عن جهنم: ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ : إنهم يقولون ذلك عن علم، وإذا قالوه عن علم كانوا أعرف بعظم قدر ما يطلبون، فيكون ذلك أقرب إلى النجح[1].

****

(١) راجع القرطبي.

من دعاء إبراهيم ـ عليه السلام

﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[1].

المعنى :

رب ارزقنى معرفة بك وبحدودك وأحكامك، وارزقنى النبوة والرسالة، وألحقنى بأنبيائك والصالحين من عبادك، وارزقنى العمل الصالح الذى يكسب الذكر الحسن والثناء الجميل، واجعلنى من ورثة جنتك، واغفر لأبى إنه أشرك بك وضل طريقك، ولاتخزنى على رءوس الأشهاد يوم القيامة، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من جاء ربه بقلب صحيح من الشك والشرك، خال من الكفر والنفاق.

موقع الدعاء :

الدعاء يستغرق سبع آيات من سورة الشعراء، وهى من السور المكية التى بدأت بالحروف المقطعة، والإشارة إلى آيات الكتاب المبين، ونددت بإعراض المشركين عن القرآن الكريم، وهددت المكذبين وتوعدتهم بالعذاب الأليم. ذلك إلى تسلية الرسول ﷺ وتعزيته عن تكذيب المشركين له وللقرآن ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾، وإلى طمأنة قلوب المؤمنين وتصبيرهم على ما يلقون من عنت المشركين، وتثبيتهم على العقيدة مهما أوذوا فى سبيلها من الظالمين، كما ثبت من قبلهم من المؤمنين، فعرضت قصص بعض الأنبياء مع أقوامهم. ويغلب على القصص كما

(١) الشعراء الآيات: ٨٣، ٨٩ .

يغلب على السورة كلها جو الإنذار والتهديد، والعذاب الذى يتبع التكذيب، ذلك أن السورة تواجه تكذيب مشركى قريش لرسول الله ﷺ واستهزاءهم بالنذر، وإعراضهم عن آيات الله، واستعجالهم بالعذاب الذى يوعدهم به، مع التقول على الوحى والقرآن، والإدعاء أنه سحر وشعر تنزل به الشياطين.

ويأتى دعاء إبراهيم ـ عليه السلام ـ فى معرض قصته مع قومه ومحاجته لهم، فبعد أن أعلن عدواته للأصنام، وللعقيدة الفاسدة التى تسمح بعبادتها، أخذ يصف ربه، رب العالمين، وصلته به فى كل حال وفى كل حين: ﴿الَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِى أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيئَتِى يَوْمَ الدِّينِ﴾.

ثم يتوجه إلى ربه بهذا الدعاء الرخى المديد فى إيمان وخضوع: ﴿رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى الآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾. ثم يستغفر لأبيه بناء عن موعدة وعدها إياه ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾[1]، وأخيرا يبين فى دعائه أن القيم الزائلة التى يتكالب عليها قومه لا تزن شيئا فى ميزان الله يوم القيامة ﴿وَلا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.

من آداب هذا الدعاء:

أنه مسبوق بوصف الله والثناء عليه بما هو أهله، فهو الخالق الهادى، وهو الطاعم الساقى، وهو وحده الشافى، وهو المميت المحيى، وبيده الأمر يوم الدِّين.

والدعاء كله ليس فيه طلب لعرض من أعراض هذه الأرض، ولا حتى صحة البدن، إنه دعاء يتجه إلى آفاق أعلى، تحركه مشاعر أصفى، ودعاء القلب الذى عرف

---

(١) التوبة الآية: ١١٤ .

الله فأصبـح يحتقر مـا عداه، والذى ذاق فهو يطلب المزيد، والذى يرجـو ويخاف فى حدود ما ذاق وما يريد.

وفيه من الآداب: التواضع، والإشفاق من التقصير، والخوف من تقلب القلوب، انظر إلى قوله وهو النبى الكريم الأواه الحليم: ﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾.

إنه حريص على مـجرد اللحاق بالصالـحين، بتوفيق من ربه إلى العـمل الصالح الذى يلحقه بهم.

وفيه من البر بالوالد ما فيه: ﴿وَاغْفِرْ لأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾ ذلك على الرغم مما لقيه إبراهيم ـ عليـه السلام ـ من غليظ القول وبالغ التهديد، ولكنه كـان قد وعده أن يستغفر له، فـوفى بوعده، وقد بين القرآن الكريم فيما بعد أنه لا يجـوز الاستغفار للمشركين ولو كانوا أولى قربى.

★★★★

من دعاء نوح ـ عليه السلام

﴿ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾(١).

المعنى :

رب إنى دعوت قومى ليلا ونهارا، مكثت فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما أدعوهم إلى ما فيه خيرهم ونفعهم، فلم يزدهم دعائى إلا إصرارا واستكبارا، وتكذيبا ونفورا، وها هم بعد كل ما بذلت لهم من نصح يهددوننى بالرجم، فاقض بينى وبينهم بقضائك الحق، وافتح بينى وبينهم فتحا يرضيك، ونجنى ومن معى من المؤمنين إذا نزل بهم قضاؤك.

موقع الدعاء :

الدعاء من سورة الشعراء، وقد بينا موضوع السورة عند الحديث عن دعاء إبراهيم عليه السلام ـ السابق لهذا الدعاء ـ وبينا أنها تعرض قصص بعض الأنبياء، وما تعرضوا له من عنت وتكذيب.

بدأت السورة القصص بقصة، موسى ـ عليه السلام ـ ثم عرضت قصص إبراهيم ونوح وهود وصالح ولوط وشعيب ـ عليهم السلام ـ وفى قصة نوح ـ عليه السلام ـ لما واجههم بحجته الواضحة، ومنطقه المستقيم، وعجزوا عن المضى فى الجدل بالحجة والبرهان لجئوا إلى ما يلجأ إليه الطغاة فى كل زمان ومكان من قوة مادية غليظة كلما أعوزتهم الحجة والبرهان. ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴾. وأسفر الطغيان عن وجهه الكالح، وكشف الضلال عن وسيلته الغليظة، وعرف نوح أن القلوب لن تلين.

---

(١) الشعراء الآيات: ١١٧، ١١٨ .

هنا توجـه نوح إلى الولى الوحيـد، والـناصـر الفـريد، الذى لا مـلجـأ سـواه للمـؤمنين: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ (١١٧) فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾. وربه يعلم أن قومه كـذبوه ولكنه البث والشكوى إلى الناصر المعين، وطلب النصفة، ورد الأمر إلى صاحب الأمر.

واستجاب الله لنبيه الذى يتهدده الطغيان بالرجم لأنه يدعو الناس إلى تقوى الله، وطاعة رسوله، لا يطلب على ذلك أجرًا، و لا يبـتغى جاها ولا مالا. ﴿ فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (١١٩) ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ﴾.

من آداب هذا الدعاء:

أنه بدأ بعرض حاله وبث شكواه من إعراض قـومه وتكذيبهم له، ومنه أنه طلب من الله الحكم والفـتح ولـم يقتـرح على الله شيئـا، بل ترك الأمر لله، ومنه أيضـاً طلب النجاة لنفسـه ولمن معه من المؤمنين، وما يشير إليـه هذا الطلب من الرهبة والخوف أن يصيبه ما يصيب قومه من غضب الله وعقابه.

★★★★

من دعاء سليمان ـ عليه السلام

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾[1].

المعنى:

رب اجمعني وألهمني شكر نعمتك التى أنعمت عليَّ وعلى والديَّ، ووفقني إلى العمل الصالح الذى ترضاه، وأدخلني برحمتك فى جملة عبادك الصالحين من الأنبياء والأولياء.

موقع الدعاء:

الدعاء جزء من الآية (١٩) من سورة النمل، وهى أيضاً كسابقتها (سورة الشعراء) من السور المكية، التى بدأت بالحروف المقطعة، وأشارت إلى آيات القرآن.. وكتاب مبين، ونددت بالذين لا يؤمنون بالآخرة، وهددتهم بسوء المصير، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾.

ثم أخذت فى قصص بعض الأنبياء، وبيان عاقبة المفسدين، بدأت بقصة موسى، ـ عليه السلام ـ ثم أتبعتها بذكر داود وسليمان، وما أنعم الله به عليهما من العلم وشكرهما لله على فضله ونعمه، ثم تحدثت عن وراثة سليمان لداود، وما مَنَّ الله به على سليمان من معرفة منطق الطير. ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾.

(١) النمل الآية: ١٩ .

ثم قصت السورة ما كان من النملة حين حذَّرت قومها مما قد يصيبهم من وطأة سليمان وجنوده وهم لا يشعرون، وما كان من سماع سليمان ـ عليه السلام ـ لها، وتبسمه ضاحكا من قولها: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ (١٨) فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾.

وهنا يستشعر نبى الله سليمان ـ عليه السلام ـ فضل الله ونعمته عليه فيتوجه إلى الله بهذا الدعاء الكريم: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾.

من آداب هذا الدعاء:

اختار سليمان، ـ عليه السلام ـ التعبير الذى يشى بنعمة الله التى مست قلبه حين سمع النمل وفهم قولها: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي﴾ ومدلول الكلمة اللغوى هو جمع الأول على الآخر والآخر على الأول، وكأنه يقول: رب اجمعنى كلى، اجمع جوارحى ومشاعرى، ولسانى وجنانى، وخواطرى وخلجاتى، وأعمالى وتوجهاتى، اجمعنى كلى، اجمع كل طاقتى لتكون كلها فى شكر نعمتك علىَّ وعلى والدى.

وفى الدعاء من العلم والتواضع ما فيه: ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ فهو يعلم أن الدخول فى عباد الله الصالحين، رحمة من الله، تتدارك العبد فتوفقه إلى العمل الصالح، يعلم هذا فيضرع إلى ربه، وهو الذى أنعم عليه وسخر له الجن والإنس والطير غير آمن مكر الله، حتى بعد أن اصطفاه، خائفا أن يقصر به عمله، وأن يقصر به شكره.

****

من دعاء الملائكة

حملة العرش ومن حوله

﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۝ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[١].

المعنى :

ربنا إن رحمتك تسع ذنوب عبادك وخطاياهم، وعلمك محيط بجميع أفعالهم وأقوالهم، وحركاتهم وسكناتهم، فاصفح ربنا عن المسيئين إذا تابوا، وأنابوا، وأقلعوا عن المعاصى، واتبعوا ما أمرتهم به من فعل الخيرات وترك المنكرات، وقهم عذاب الجحيم، وهو العذاب الموجع الأليم.

ربنا واجمع بينهم وبين من صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم فى الجنة لتقر بذلك أعينهم، فأنت العزيز الذى لا يغلب، وما شئت كان، وما لم تشأ لم يكن، وأنت الحكيم فى أقوالك وأفعالك.

احفظهم يارب من فعل المنكرات والفواحش التى توبق صاحبها، فمن حفظته من نتائجها وعواقبها يوم القيامة، فقد لطفت به[٢]، وغمرته برحمتك، (وذلك هو الفوز العظيم).

موقع الدعاء :

هذا الدعاء يستغرق جزء من الآية السابعة، والآيتين الثامنة والتاسعة من سورة

(١) غافر الآيات: ٧، ٨، ٩ .

(٢) راجع صفوة التفاسير.

غافر، وهى من السور المكية، وتعالج قضية الحق والباطل، قضية الإيمان والكفر، قضية الدعوة والتكذيب، وأخيرا قضية العلو فى الأرض والتجبر بغير الحق، وبأس الله الذى يأخذ العالين المتجبرين.. وفى ثنايا هذه القضية تلم بموقف المؤمنين المهتدين الطائعين، ونصر الله إياهم، واستغفار الملائكة لهم، واستجابة الله لدعائهم، وما ينتظرهم فى الآخرة من نعيم.

والدعاء بدأ فى الآية السابعة، وقد سبقه فى أول السورة إشارة إلى القرآن الكريم: ﴿حمٓ ① تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾، ثم انتقل السياق إلى التعريف ببعض صفات الله الذى نزّل هذا الكتاب: ﴿غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لا إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾.

بعد تقرير تلك الصفات العلوية، وتقرير الوحدانية، يقرر الله أن هذه الحقائق مسلمة من كل من فى الوجود، وكل ما فى الوجود، وهم مهما تقلبوا، وتحركوا، وملكوا، واستمتعوا، فهم إلى اندحار وهلاك وبوار، ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلاَّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَلا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلادِ﴾ ثم بينت السورة الكريمة ما كان من هلاك الأمم السابقة ممن كانوا على شاكلة هؤلاء الكفار ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ⑤ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ .

هذا شأن الكافرين، أما المؤمنون فلهم مع ربهم شأن آخر، وملائكته وحملة عرشه يذكرونهم عند ربهم، ويستغفرون لهم، ويستنجزون وعد الله إياهم، بحكم رابطة الإيمان التى تربط بينهم، فكان هذا الدعاء...

﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ إلى آخر الدعاء.

من آداب هذا الدعاء :

أنه جاء بعد ذكر تسبيح هؤلاء العباد المقربين بحمد ربهم، لأنهم فى تسبيح دائم، ولذلك جاء التعبير بصيغة المضارع: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ وهم يقدمون بين يدى الدعاء بأنهم ـ فى طلب الرحمة والمغفرة للمؤمنين ـ إنما يستمدون ذلك من رحمة الله التى وسعت كل شىء: ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾، ثم يرتقون فى الدعاء من طلب الغفران والوقاية من العذاب إلى سؤال الجنة واستنجاز وعد الله لعباده الصالحين: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ ﴾، ومنه التعقيب على هذه الفقرة من الدعاء، بمخاطبة الله والتقرب إليه بأسمائه الحسنى، وصفاته العليا: ﴿ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾.

****

دعاء الراشدين

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾(١).

الراشدون :

هم الذين حبب الله إليهم الإيمان وزيَّنه فى قلوبهم، وكرَّه إليهم الكفر والفسوق والعصيان، وهم الذين أدركوا نعم الله عليهم وعلى والديهم فطلبوا من الله أن يلهمهم شكرها، وعرفوا قيمة العمل الصالح ـ بعد أن خبروا الحياة وبلغوا الأربعين ـ فطلبوا من الله أن يوفقهم إليه، وهم الذين يرجون إخلاص النية، وصلاح الذرية.

ويقول بعض المفسرين: إن الآية نزلت فى أبى بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ لما بلغ الأربعين سنة بعد سنتين من مبعث النبى ﷺ آمن به ثم آمن أبواه، ثم ابنه عبد الرحمن، وابن عبد الرحمن عتيق. ولا يخفى أن الصديق كان أول الراشدين الذين دخلوا الإسلام وكان أول الخلفاء الراشدين المهديين الذين ساروا على نهج رسول الله ﷺ .

المعنى :

رب ألهمنى أن أشكر نعمة الإيمان التى أنعمت بها على وعلى والدى، ووفقنى للعمل الصالح الذى ترضاه، حتى أكون من المؤمنين العاملين، وأصلح لى فى ذريتى ليكون حبل الإيمان فى عقبى موصولا، إنى تبت إليك مما فرط منى قبل الأربعين، وأسلمت وجهى لك لعلى أكون فيما بقى من عمرى عندك مقبولا.

موقع الدعاء :

الدعاء جزء من الآية (١٥) من سورة الأحقاف، جاء بعد الإشارة إلى القرآن

(١) الأحقاف الآية: ١٥ .

الكريم الذى نزل بلسان عربى لينذر الظالمين، ويبشر المحسنين، الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فتحقق لهم الأمن فى الدنيا والآخرة، واستحقوا الجنة بما عملوا، وبعد الأمر بالإحسان إلى الوالدين، والإشارة إلى الأم وما تقاسيه فى الحمل والوضع والرضاع والفطام طوال ثلاثين شهرا أى ما يقرب من ألف يوم. قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾.

فإذا بلغ أشده، وبلغ أربعين سنة، وكان راشدا توجه إلى الله بهذا الدعاء: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

يقول ابن كثير - رحمه الله -: وهذا فيه إشارة لمن بلغ الأربعين أن يجدد التوبة والإنابة إلى الله، عز وجل، ويعزم عليها، وقد روى أبو داود فى سننه عن ابن مسعود، رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ كان يعلمهم أن يقولوا فى التشهد (اللهم ألف بين قلوبنا، وأصلح ذات بيننا، واهدنا سبل السلام، ونجنا من الظلمات إلى النور، وجنبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وبارك لنا فى أسماعنا وأبصارنا وقلوبنا وأزواجنا وذرياتنا، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، واجعلنا شاكرين لنعمتك، مثنين بها عليك، قابليها، وأتممها علينا).

ولقد أثنى الله على الراشدين الداعين بهذا الدعاء عقبه فقال: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾. فهم - كما قال ابن كثير - الذين يغفر الله لهم الكثير من الزلل، ويتقبل منهم اليسير من العمل.

دعاء المعوذتين

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾[١].

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾﴾[٢].

المفردات :

الْفَلَقِ : الصبح .

غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ : الليل إذا أظلم.

النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ : السواحر تنفث فى العقد التى فى الخيط، تنفخ فيها بشىء تقوله من غير ريق.

وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ : يقول الإمام محمد عبده: الحاسد الذى يتمنى زوال نعمة محسوده، ولا يرضى أن تتجدد له نعمة. وهو أشد خلق الله أذى، ومن أخفاهم حيلة، وأدقهم وسيلة، إذا حسد، أى أنفذ حسده وحققه بالسعى والجد فى إزالة نعمة من يحسده، وليس فى طاقة محسوده إرضاؤه بوجه من الوجوه، ولا فى استطاعته الوقوف على ما يدبره من المكايد، فلا ملجأ منه إلا إلى الله وحده، فهو القادر على كف أذاه، وإحباط سعيه، وقانا الله شر الحاسدين، وكف عنّا كيد الكائدين[٣].

---

(١) الفلق.

(٢) الناس.

(٣) تفسير جزء عم. الإمام محمد عبده ص ١٤٠ .

الْوَسْوَاسِ: الشيطان الذى من دأبه أن يوسوس، والوسوسة هى ما يلقيه الشيطان فى صدور الناس من حض على الشر وحث عليه.

الْخَنَّاسِ : الذى يخنس ويتأخر عن القلب كلما ذكر الله.

مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ : من شياطين الجن والإنس.

المعنى :

يأمر الله تعالى رسوله ﷺ والمؤمنين من أمته أن يتعوذوا، ويتحصنوا برب الصبح ـ وما يبثه فى النفس من انشراح واطمئنان ـ من شر مخلوقاته، ومن شر الحاسد إذا أظهر حسده، وعمل بمقتضاه.

كما يأمر رسوله ﷺ والمؤمنين من أمته أن يتعوذوا ويتحصنوا برب الناس ومالكهم وإلههم من شر الشيطان الذى يخنس ويتأخر عن القلب كلما ذكر الله والذى يوسوس فى صدور الناس كلما غفلوا عن ذكر الله.

موقع الدعاء :

المعوذتان هما آخر سورتين فى القرآن الكريم، فهما ختام المصحف الشريف، وكما بدأ القرآن الكريم بالدعاء وطلب الهداية فى الفاتحة ـ بعد حمد الله تعالى ـ فإنه فى الختام يطلب منا التوجه إلى الله، والاستعاذة به والتحصن بجنابه من شرور مخلوقاته ومن وساوس شياطين الإنس والجن.

فلا غرو أن كان رسولنا ﷺ يختم صلاة يومه بالمعوذتين، فكان ﷺ يقرأ فى الركعة الثالثة من الوتر بعد الفاتحة سورة الإخلاص والمعوذتين.

ما جاء فضل المعوذتين :

روى مسلم فى صحيحه عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ : «ألم تر آيات نزلت هذه الليلة لم ير مثلهن قط ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ

النَّاسِ﴾». وروى النسائى عن عقبة بن عامر ـ أيضاً ـ قال: كنت أمشى مع رسول الله ﷺ فقال: «ياعقبة قل». قلت: ماذا أقول؟ فسكت عنى ثم قال: «قل». فقلت: ماذا أقول يارسول الله؟ قال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾. فقرأتها حتى أتيت على آخرها، ثم قال: «قل» فقلت: ماذا أقول يارسول الله؟ قال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ فقرأتها حتى أتيت على آخرها، ثم قال رسول الله ﷺ عند ذلك: «ما سأل سائل بمثلها، ولا استعاذ بمثلها». وروى البخارى عن عائشة، ﵂ ـ : أن النبى كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما، وقرأ فيهما: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ و ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ ثم يمسح ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات.

****

المراجع

١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ تفسير ابن كثير. للإمام أبى الفداء إسماعيل بن كثير القرشى. دار الفكر للطباعة والنشر ـ بيروت .

٣ ـ تفسير أبى السعود. لقاضى القضاة أبى السعود محمد بن محمد العمادى. دار إحياء التراث العربى ـ بيروت.

٤ ـ تفسير الجلالين. للإمامين جلال الدين المحلى وجلال الدين السيوطى. طبعة الشمرلى بتحقيق وتعليق د. شعبان محمد إسماعيل.

٥ ـ صفوة البيان لمعانى القرآن. حسنين مخلوف ط وزارة الأوقاف بالكويت.

٦ ـ صفوة التفاسير. محمد على الصابونى. دار القرآن الكريم. بيروت.

٧ ـ فى ظلال القرآن. سيد قطب دار الشروق. القاهرة وبيروت.

٨ ـ تفسير القرطبى. ط الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة.

٩ ـ تفسير الكشاف. لأبى القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى. دار الفكر للطباعة والنشر ـ بيروت.

١٠ ـ تفسير جزء عم للأستاذ الإمام محمد عبده. مطابع الشعب.

١١ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. محمد فؤاد عبد الباقى. دار ومطابع الشعب. القاهرة.

١٢ ـ اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان. جمع محمد فؤاد عبد الباقى. نشر وزارة الأوقاف. الكويت.

١٣ ـ صحيح البخارى حاشية السندى. دار إحياء الكتب العربية. القاهرة.

١٤ ـ صحيح مسلم بشرح النووى. دار الريان للتراث.

١٥ ـ جامع الترمذى. محمد بن عيسى الترمذى.

١٦ ـ سنن أبى داود. لسليمان بن الأشعث الأفردى.

١٧ ـ كتاب الروح لابن القيم: مكتبة المتنبى. القاهرة .

١٨ ـ الفوائد لابن قيم الجوزية. ط عالم الكتب. بيروت.

١٩ ـ إحياء علوم الدين للإمام أبى حامد الغزالى. دار إحياء الكتب العربية. القاهرة.

٢٠ ـ مائة سؤال عن الإسلام ـ محمد الغزالى. دار ثابت. القاهرة، ط ثانية.

٢١ ـ مختار الصحاح. للشيخ محمد بن أبى بكر الرازى. مكتبة لبنان. بيروت.

٢٢ ـ المصباح المنير. للعلامة أحمد بن محمد بن على المغربى. دار القلم. بيروت .

****

الفهرس